رد القمص سرجيوس

على

الشيخين الطنيخى والعدوى

حول تجسد الله ولاهوت المسيح

تعريف بالمؤلف

ولد القمص سرجيوس فى جرجا عام ١٨٨٣ باسم ملطى سرجيوس عبد الملاك والتحق بالكلية الاكليريكية عام ١٨٩٩ وتخرج عام ١٩٠٤ وخدم واعظاً فى الزقازيق ثم فى سنورس بالفيوم ثم فى ملوى. فى عام ١٩٠٧ استدعاه نيافة الانبا مكاريوس مطران اسيوط ورقاه الى رتبة قمص باسم سرجيوس وعينه وكيلاً لمطرانية اسيوط فى ٣٠ نوفمبر من نفس العام .

فى مايو عام ١٩١٢ طلبه مطران وشعب السودان ليخدم كنيسة الخرطوم ويكون وكيلاً للمطرانية ، والى جوار خدمته الدينية كان على صلة طيبة بزعماء السودان وكان يخطب فى نواديهم .

فى مايو من عام ١٩١٥ تخوف الانجليز من خطبه وأحاديثه عن الحرية فاستبعدوه خارج السودان الى مصر ليزاول خدمته ونشاطه ، بعد عودته من السودان قام القمص سرجيوس بالوعظ بالقللى (بالقاهرة) واعجب به الشعب والتفوا حوله فاشترى قطعة ارض وطلب من الشعب ان يتعاون معه فى بناء الكنيسة، وفى شهور تم البناء وصار يصلى ويعظ فيها واصبح هذا المكان مركز خدمته ونشاطه .

قامت الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وكان القمص سرجيوس من خطبائها المفوهين البارزين ، كان أول قسيس يعتلى منبر الازهر للخطابة ، استقبله شيوخ الازهر وطلابه وكذلك جماهير الشعب استقبالاً حماسياً ظل حوالى شهرين يلقى الخطب الحماسية يدعو الى الحرية والاستقلال ، بعد خطابين له القاهما فى جامع ابن طولون وكنيسة العذراء بالفجالة اعتقله الانجليز وأبعد إلى رفح وظل

هناك ثمانين يوماً ، كانت الصحافة المصرية تصفه بأنه خطيب الثورة وخطيب الازهر .

عين القمص سرجيوس وكيلاً للبطريركية فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ فى عهد البابا مكاريوس الثالث ، كما اعيد تعينه وكيلاً للبطريركية فى اكتوبر سنة ١٩٤٩ فى عهد البابا يوساب الثانى . فى عام ١٩٥٠ نجح فى انتخابات المجلس الملى العام وصار عضواً بالمجلس وبهذا فتح باب عضوية المجلس الملى للكهنة .

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الغت ترخيص مجلته (مجلة المنارة) وكذلك منعت كتبة من التداول (صادرتها) .

تنيح القمص سرجيوس يوم السبت ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤ عن واحد وثمانين عاماً بعد حياة حافلة بالجهاد والصراع والإنتاج المثمر من اجل الحق . أنتم تعرفون الحق والحق يحرركم وسيرتكم تتبعكم .

مؤلفات القمص سرجيوس

١- رده على الشيخين الطنيخى والعدوى حول تجسد الله ولاهوت المسيح .
٢- رده على القائلين بتحريف التوراة والانجيل .
٣- رده حول حقيقة صلب المسيح وموته .
٤- رده حول التثليث والتوحيد .
٥- رده حول سر المائدة والقربان .
٦- هل تنبأت التوراة أو الانجيل عن محمد .
٧- هل تنبأت التوراة عن المسيح .
٨- الدكتور نظمى لوقا فى الميزان - رداً على كتابه (محمد الرسالة والرسول) .



المقدمة

المجد لله الذى أشرف من السماء على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله فلما رأى أن الكل قد زاغوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد شق السموات ونزل من أجل خلاصهم، من غير حركة انتقال يفرغ بها حيزاً ويملأ بها حيزاً آخر ، وحل فى بطن مريم العذراء دون ان يستحيل عن كيانه أو يتغير عن هيئته فاتحد اللاهوت الازلى بالناسوت الزمنى واللطيف بالكثيف بغير اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير ولا استحالة أحدهما إلى الآخر .

والحمد لجلاله على تعضيده ايانا حتى اخرجنا كتابنا هذا الى عالم المطبوعات فى ظروف وأحوال يعلمها هو وحده تعالى وقد أودعنا فيه براهين المسيحية على حقيقة تجسد ابن الله أو لاهوت المسيح فكان ترتيبه فى عدد مؤلفاتنا كترتيب اليوم الرابع من أيام الخليقة الذى قال الله فيه : لتكن أنوار فى جلد السماء لتفصل بين الليل والنهار .. وجعلها الله فى جلد السماء ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة .. وكان مساء وكان صباحاً يوماً رابعاً.

أو كترتيب الانهار التى كانت تجرى فى جنة عدن اذ يقول الكتاب والنهر الرابع الفرات الذى كان يسقى الجنة .

وثقتنا بالله عظيمة أن يجعل هذا الكتاب وسيلة تحمل النور وسط الظلام وتدل العطاش إلى ينبوع الخلاص ليستقوا منه ويرووا ظمأهم الروحى . وان يكون سبباً لتحريك البركة الالهية القائلة «مبارك شعبى مصر» حتى تملك النعمة والسلام على ربوع بلادنا المصرية وجميع أقطار العالم . آمين .

التجسد الالهى بين العدوى والطنيخى

تهجم الاستاذ الشيخ العدوى على عقيدتى التثليث والتجسد وكان ميدانه جريدة السياسة فصددنا هجمته على التثليث بما اعجزه عن الرد الى هذا اليوم.

وقفاه الشيخ الطنيخى بحملة أخرى على التثليث والتجسد والاعتراف والقربان المقدس متخذاً ميدانه مجلة الاسلام فرددنا هجمته على سر القربان وهانحن نرد على الشيخين هجمتهما على سر التجسد طالبين ارشاد الروح القدس لنتكلم بحكمة الله فى سر الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر (١كو٢:٧.٨) ليعرف الناس ماهو غنى مجد هذا السر فى الأمم الذى هو المسيح فيكم رجاء المجد (كو ١:٢٧) .

ونبدأ بتوجيه السؤال إلى حضرتى الشيخين المحترمين :

هل يقدر الله ان يتجسد ؟

فان قلتم انه يقدر . قلنا لكم : وهل هذه القدرة إمكانية فقط أم هى قدرة فعلية ؟ وان كان الجواب انها قدرة تظهر بالفعل أيضاً ، فلماذا تتهموننا بالكفر إذا قلنا ان الله تجسد وظهر فى صورة الانسان فى شخص المسيح له المجد ؟

وإن قلتم انه تعالى لايقدر أن يتجسد ، تنسبون له تعالى العجز وتجعلونه محدوداً فى دائرة غير الممكن والمستحيل وتتصوروه الهاً غير مطلق الحرية لايستطيع أن يتعدى حجب الخفاء عاجزاً عن اعلان ذاته وأقل حرية وقدرة من

مخلوقاته على الظهور والاعلان . وبهذا تخالفون جميع عقائد القرآن وماروته الاحاديث فهوذا الملائكة تقدر أن تتجسد وهى أرواح مجردة عن المادة تستطيع أن تظهر بهيئات متعددة ومتنوعة حتى تنظر وتسمع وتلمس من البشر واليكم ماجاء فى سورة مريم قوله : «فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً» وجاء فى (حديث البخارى الجزء الأول ص٣) قال رسول الله (صلعم) للحرث بن هشام عن كيفية اتيان الوحى أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال وأحيانا يتمثل لى رجلاً يكلمنى فأعى ماقال . وعن زيد بن ثابت كان إذا نزل الوحى على محمد ثقل لذلك قال ومرة وقع فخذه على فخذى فوالله ماوجدت شيئاً أثقل من فخده . وفى الجزء الثانى ص ١٤٢ يقول محمد فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والارض.

أرأيت كيف ان الملاك يظهر فى صورة الرجل ويتشكل بالحجم الذى يسد مابين الأفق ويجلس على كرسى وله فخذ يقع على فخذ محمد فيشعر بثقله ويمسك جرساً له صلصلة.

وكذلك الشياطين لها ذات القدرة على التجسد والظهور بهيئات جسمية فقد جاء فى (حديث البخارى جزء ١ ص ١٤٣ عن أبى هريرة عن النبى صلعم انه صلى صلاة قال ان الشيطان عرض لى فشد على يقطع الصلاة على فأمننى الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا اليه .. الخ .

وقال الخازن على ماورد فى (سورة الحشر الآية ١٦) ان الشيطان المسمى الأبيض تصدى لمحمد وجاءه فى صورة جبريل فدفعه إلى أقصى الهند .

وكذلك للانسان قوة على تجسيد عقله وتشكيل أفكاره وتصوراته فيعلن عقله

ويعبره ويظهره فى أقوال وأعمال وصناعات واختراعات كثيرة .

والأشياء غير العاقلة لها نفس قدرة التجسد والظهور فهوذا النار وهى عنصر محجوب عن العيون تتجسد فى الفحم والأخشاب وكل مادة قابلة للاحتراق .

وهوذا الكهرباء أيضاً تتجسد فى أسلاك خاصة بحلولها فيها وظهورها عاملة عملها العجيب فى الانارة والتدفئة وتحريك الآلات وتسيير القطارات .

وكذا المغنطيسية وهى قوة كامنة محجوبة لاصورة لها ولاوزن ولالون ولكنها إذا ماتجسدت فى الحديد ظهر فعلها العجيب فى جذب الحديد الأمر الذى لم يبد قبل تجسدها .

وهوذا الطاقة الذرية كيف انها بعد الخفاء والحجاب طوال حقبات ودهور قد ظهرت وستظهر أعمالها المدهشة التى سوف تغير وجه العالم .

فاذا كانت الملائكة والجن والشياطين ، والانسان والنار والكهرباء والمغنطيس والطاقة الذرية قادرة على الظهور والتشكل بما شاء لها البشر سواء كان بقوتهم الذاتية أم بقوة الله فكيف يكون الله خالقها وعاجز عن الظهور والاعلان عن نفسه ؟ وهل يعقل أن الذى يعطى خلائقه قدرة التجسد والظهور يكون عاجزاً عن الظهور والتجسد !

لا . أيها السادة أنتم تؤمنون بتجسد الله وظهوره رغم مقاومتكم عقيدة المسيحيين فى التجسد الالهى .

فقد قال علماء المسلمين : إن الرؤية أمر يخلقه الله فى الحى ولايشترط بضوء ولامقابلة ولاغيرهما من الشرائط التى اعتبرها الحكماء . قالوا وبما أن الله ليس جسماً ولا فى جهة ويستحيل عليه مقابلة ومواجهة وتقلب حدقة نحوه

ومع ذلك يصح أن ينكشف لعباده انكشاف القمر ليلة البدر كما ورد فى الأحاديث الصحيحة وقال الآمدى اجتمعت الأئمة من أصحابنا على أن رؤيته تعالى فى الدنيا والآخرة جائزة عقلاً . قال وهل يجوز أن يرى فى المنام فقيل لا وقيل نعم والحق أنه لامانع من هذه الرؤية وأقاموا الأدلة على جواز رؤيته تعالى بالنقل والعقل . والنقل منه حكاية عن موسى قوله رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى . والاحتجاج به من وجهين الأول ان موسى سأل الرؤية وطلبه دليل على جواز الوقوع والا كان جهلاً وهو محال فى حقه . الثانى أنه علق الرؤية على استقرار الجبل واستقرار الجبل أمر ممكن فى نفسه وماعلق على الممكن فهو ممكن وقالوا بوقوعها لمحمد ليلة الاسراء بعينى رأسه على الراجح خلافاً لمن قال بقلبه واستدلوا على أن الرؤية وقعت لابن الفارض بقوله :

وأباح طرفى نظرة أماتها فغدوت معروفاً وكنت منكراً

وورد فى الحديث رأيت ربى فى أحسن صورة فوضع يده بين كتفى فحسست ببرد أنامله بين ثديى .

وورد فى الحديث أيضاً : فيأتيهم اللّه فى صورته التى يعرفون ، وفى الحديث أيضاً فيأتيهم اللّه فى غير صورته التى يعرفون .

وما ايمان المسلمين بالحى والتنزيل الا اعترافاً جلياً صريحاً بأن الله يظهر ويتجسد ويعلن ذاته كل يوم بصور وأنواع شتى والا فقولوا لى ماهو الوحى ؟ وماهو القرآن ؟ وماهى الكتب المنزلة ؟ أليست هى اعلان الله ذاته وصفاته ومقاصده وأعماله وعلاقاته ببنى الانسان بعد ان كانت محجوبة عن الناس ؟

انه لشعور عام وغريزى فى الانسان بوجود كائن عظيم خارج عنه وبأنه

متعلق بهذا الكائن وتحت مسئولية له ، وان الانسان من نفسه لايقدر ان يعرف طبيعة هذا الكائن العظيم كالقداسة والعدل والرحمة والحق الا باعلان الهى اذ لايقدر أحد أن يعرف ماهو الله وماهى صفاته الا الله وحده . ولقد سئل أبو بكر الصديق : بما عرفت ربك ؟ أجاب (عرفت ربى بربى ولولا ربى ماعرفت ربى) .

وسئل على بن أبى طالب : بما عرفت ربك ؟ قال عرفت ربى بما عرفنى به نفسه لايدرك بالحواس ولايقاس بالقياس ولايشبه بالناس قريب فى بعده بعيد فى قربه فوق كل شئ ولايقال تحت كل شئ .

فلماذا يعترضون على تجسد الله ؟

ان جميع العقائد الاسلامية مبنية أساساً على أساس الاعتقاد بالظهور الالهى واعلان ذاته تعالى لخلائقه العاقلين ولولا أنهم قد تغالوا فى عقيدة التنزيه الالهى لكانوا أول المنادين بظهور الله وتجسده ولكنهم فى مغالاتهم فى التنزيه جعلوا الله منزهاً عن كل الحوادث وقالوا أنه تعالى فى غنى عن العالم والساكنين فيه ولاصلة له بخلائقه ولا يرضون بأى نسبة أو صلة أوعلاقة بينه تعالى وبين الكائنات لأنهم يقولون أن النسبة أو العلاقة تؤثر فى الخالق والمخلوق اذ ينسب المفعولية إلى الله وهذا كفر فى نظرهم .

ولايخشى المسلمون من نتائج التنزيه المغالى الذى يجعل الله بعيداً عن حيز الفكر وفرضاً مجرداً وهمياً وغير حقيقى لايتدخل فى أمور الخلائق التى خلقها وهذا هو الالحاد عينه .

لكنا نراهم من ناحية أخرى بل من كل نواحى تدينهم وعقائدهم الاسلامية يخالفون هذا التنزيه عملياً إذ يجعلون الله تعالى فى حيز الاتصال بالخليقة والزمان والمكان فهم يقولون أن الله بعث رسولاً إلى الناس ! فمن أين بعث هذا

الرسول ؟ والى أين بعث ؟ ولمن بعث ؟ وكيف كلمه ؟ ولأى غرض كلمه ؟

فاذا قالوا أن هذا الكلام مجاز قلنا لهم أن الكلام المجاز يشير الى وجود صلة مهما كان نوعها وإلا فلايكون الكلام مجازاً فقط بل وبدون معنى بالمرة .

واذا قلتم عن التعبيرات الكلامية أنها مجاز فماذا تدعون الحوادث التى ذكر فيها أشخاص وأعمال ؟ وماذا تقولون عن الحديث الخاص بالفروض الخمسة لما دخل محمد على ربه وقابل موسى الذى جعله يراجع ربه مرات فهل كان هذا حقيقياً أم تخيلات تخيلها محمد .

وماذا تقولون فيما ذكره القرآن عما أبصره موسى فى الوادى من نار وناداه ربه منها قائلاً أنا ربك وقد جاء فيها ترتيب زمان ومكان مما جعل الله فى حيز القيد والمكان المقدس الذى حل الله فيه وطلب من موسى أن يخلع نعله فهل كان هذا حقيقة أم هى تهيئات لاوجود لها إلا فى مخيلة موسى .

فاما أن يتمسك المسلمون بالتنزيه المطلق ويكتفوا باله لايعلمون عنه شيئاً البته ولاعلاقة له تعالى بهم وانه منفصل عنهم كل الانفصال لايهمه تعالى أمرهم وفى هذه الحالة ينكرون النبوة والقرآن لأن النبى لايسمى نبياً ولارسولاً إلا إذا أرسله الله وإرساله لايكون إلا باتصال الله به ويقول له إذهب قل كذا وكذا وهذا الاتصال وإن قالوا أنه غير مباشر بل عن طريق آخر كجبريل مثلا فانه يكون اتصالاً لأنه إذا كلف الله جبريل أن يكلم محمداً وجبريل يتصل بمحمد فهلا يكون الله متصلاً بمحمد والحالة هذه .

واما أن تتمسكوا بالنبوة والنبى وتتركوا عنكم عقيدة التنزيه المغالى الذى يجعل الله بلا علاقة مع البشر .

إن الصلاة التى تصلونها فى اليوم خمس مرات لهى أكبر دليل عملى على

الصلة والعلاقة الكائنة بين الله ومخلوقاته وإلا فلماذا تصلون إلى إله بعيد عن العالم ولاعلاقة له به ولاتدخل له في شؤونه.

بل ان الخلق يتعارض كل التعارض مع عقيدة التنزيه المطلق لأن تدخل الله في خلق العالم يفيد الصيرورة أي صيرورته من غير خالق إلى خالق وهذا يقيده إلى حيز الاتصال بزمان ومكان محدودين بعد أن انحجب عن الكائنات أجيالاً ليس لها عدد وبعبارة أوضح أن التنزيه المطلق ينافي الخلق اقتضى أن يخلق آدم من طين ويخلق منه حواء ويكلم آدم وحواء ويوصيهما.

وان المفكرين في الاسلام وقفوا حيارى لأنهم رأوا انهم كانوا لاينزهون الله عن الحوادث فانهم يخفضون من شأنه تعالى وإن حاولوا رفعه إلى هذه المنزلة العليا وجعلوا الحوادث مستقلة عنه تعالى فكيف يكون إلهاً مطلقاً وسيداً ومحيطاً بكل شيء.

ان عقيدة التنزيه المغالي التي تقول بانفصال الله عن الكائنات تقضي إلى التعطيل لأن الانسان لايمكن تجديده ولاتوبته من ذاته ولا العزيمة البشرية بمجدية بل هي طفرات متقطعة من الاجتهاد والسعي وراء الخير لايرفعان الانسان من حالة الخطية إلى حالة البر فهل لو اجتمع ركاب السفينة بكل قواهم أيستطيعون أن يسيروا السفينة بدفعهم لساريها وهل يستطيع الغريق أن يرفع نفسه من المياه الغامرة بشد شعر رأسه دون أن يأتي غيره لينقذه.

قال السيد المسيح: «من منكم إذا اهتم يقدر ان يزيد على قامته ذراعاً واحدة». ولذلك ترى عقيدة التنزيه المطلق أعاقت المسلمين عن قبول فكرة تجسد ابن الله الذي جاء لينقذ الخطاة ويخلصهم من سلطة الخطية وطوفان الشر الذي غرقوا فيه.

وهذه هى اعتراضات المسلمين على سر التجسد الالهى المتولدة عن مغالاتهم فى عقيدة التنزيه الالهى نوردها هنا .

الاعتراض الاول على التجسد

يقولون أن تجسد الله يحتم حدوث تغيير هام فى جوهر الله فى زمان ومكان معينين فيصير الله غير ماكان من ذى قبل .

الرد على هذا الاعتراض

إن هذا الاعتراض يدل على انهم يقيسون أعمال الله بمقياس عقولهم القاصرة الضعيفة فإذا كانت عقولهم لاتقدر على ادراك امر من امور الله ولاكيفية تصرفه تعالى فى الحوادث والاجراءات أنكروا حدوثها إذا قال بها غيرهم من أصحاب الاديان الأخرى ، وأما إذا هم قالوا اكبر من ذلك قالوا صدق الله العظيم !

انهم بهذا الاعتراض يشهدون بعجز الله تعالى وعدم قدرته على التجسد والظهور دون ان يحدث فى جوهره تعالى حدث أو تغيير فى زمان ومكان معينين .

لا . أيها الأسياد العلماء ان التجسد لايحتم حدوث تغيير فى الطبيعة الالهية حيث أن الله الابن ظل الها كما هو دون أن يعتريه أدنى تغيير عندما اتحد مع طبيعة بشرية اتخذها لنفسه بطريقة غير عادية لأن الذى تخرج منه الطبائع وهو خالقها لايصعب عليه أن يتحد بهذه الطبائع والا كان هذا منك اعترافاً بأن خالق هذه الطبائع ليس هو الله بل آخر غيره . اسمعوا ماذا يقول العلماء العقليون . توجد حياة واحدة ومانحن الا مظاهر فردية لهذه الحياة الواحدة حاضرة فى كل مكان وتملأ كل فراغ ولايوجد شئ خارجاً عنها وهى

المبدأ العام للكون الذى يسميه الناس الله . وهو أصل للحياة غير محدود يحوى الكون المنظور ولو أنه غير منظور موجود بذاته يخترق كل الأشكال المنظورة وهو القوة المحركة للحياة المنظورة . والانسان متصل بمبدأ الحياة الأبدى .

واسمعوا ماذا يقولون أيضا أن الرجل الكامل الحكيم العاقل يقدر أن يوفق نفسه مع الظروف والبيئة التى يعيش فيها فكم بالحرى الله سبحانه وتعالى الحكيم القادر على كل شئ كيف لايقدر أن يتجسد ويتحد بالانسان دون أن يعتريه تغيير أو تبديل فى جوهره ؟

وها الطبيعة أمامنا شاهدة على قوة الهها فهوذا الشمس ترسل كل يوم أشعتها إلى الأرض وتتحد بالأشياء فتنميها وتنضجها وتكسبها حياة دون أن يعتريها تغيير أو فساد فى تركيبها بل بقوة مافيها من جاذبية تتحد بالكواكب الأخرى التى تدور حولها دون أن يعتريها تغيير أو تبديل . وهوذا النار تتحد بالحديد دون أن يحدث فى جوهرها تغيير أو تبديل . وهوذا الهواء يتحد بنا ويدخل فى الحيوان والنبات والجماد دون أن يعتريه تغيير أو فساد وإلا لما بقى الهواء هواء إلى هذا اليوم . وهوذا الماء يتحد بجميع الأشياء ويعمل عمله ثم يعود كما هو لايعتريه نقص ولاتغيير .

فهل يعقل أن يكون للطبيعة قوة الاتحاد مع العناصر الأخرى دون أن يطرأ عليها حدث أو تغيير ولاتكون هذه القوة لله خالق الطبيعة .

يخشون على الله أن يتغير فيما لو تجسد ولايخشون نسبة العجز اليه وعدم القدرة على اتيان عمل كالتجسد والظهور كالطبيعة والملائكة والعقل البشرى كما اسلفنا القول .

أما خوفهم من كون الله يتحدد بالزمان والمكان المعينين فيما لو تجسد فهذا

الخوف يرافقهم حتى فى عقائدهم الإسلامية ولايفارقهم الا إذا أنكروا كتبهم وعقائدهم .

فالمسلمون يعتقدون ان الله خلق العالم فى ستة أيام ، وخلق الانسان من صلصال وبهذا الاعتقاد يكون الله تعالى قد وقف عند حد من الزمان والمكان لأنه أمسك طيناً من بقعة محدودة وفى زمان محدود . فاذا قالوا ان وقوفه عند زمان ومكان محددين لايجعله محدوداً لانه قادر على كل شئ قلنا لهم وكذلك تجسده تعالى فى زمان معين وفى حيز محدود لايجعله محدوداً ولايحدث فيه حدثاً ولاتغييراً لانه قادر على كل شئ ولايعسر عليه أمر والمستحيل على الناس مستطاع لديه .

وماقولكم فى كلام الله مع الأنبياء ووحيه تعالى اليهم وماتقولونه أنتم أن الله كلم محمداً كما جاء فى حديث (البخارى الجزء الأول ص٣) قوله : حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ .. الخ . وقال ايضاً فى ذات الصحيفة بينما أنا أمشى سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه.. الخ .

فتصوروا حقيقة هذا الموقف : محمد جالس فى غار حراء فى زمان ومكان معينين والملك ظهر لمحمد فى صورة الرجل وجالس هو الآخر على كرسى بين السماء والأرض وواقف إلى جانب محمد أو أمامه يكلمه بلغة عربية ولسان عربى ويمسكه بيديه ورجليه ويغطه غطاً حتى يبلغ بمحمد الجهد ، يعنى كان الملك محدوداً بحدود وفى نفس الوقت وعند نفس المكان كان الملك واقفا أمام الله يتلقى منه الوحى ويبلغه إلى محمد فيكون الله تعالى أيضاً محدوداً لوقوفه إلى

جانب الملاك الواقف إلى محمد البشرى المحدود بحدود الزمان والمكان.

هذا إذا كنتم تعتقدون أن الله كلم محمداً حقيقة لامجازاً ولا وهماً ولاتخيلاً ، وماقولكم فى ماجاء فى حديث (البخارى الجزء الثانى ص ١٦١) قوله : قال رسول الله : الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطير .

فاذا كان محمد رأى أو سيرى الله تعالى جالساً على العرش والعرش له قوائم ، وموسى المحدود ممسك بقائمة من قوائم العرش فهلا يكون العرش فى هذه الحالة محدوداً بموسى المحدود ؟ وهلا يكون الله والحالة هذه محدوداً لأن موسى ممسك بقائمة من قوائم العرش الجالس عليه الله الغير المحدود ؟

ومارأيكم فى ماجاء فى حديث البخارى الجزء الرابع ص ٦٨ قوله : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة فى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه ومن يستغفرنى فاغفر له) . فما هذا التنزل فى كل ليلة إلى السماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير ؟ فهلا يتحدد بالنزول فى زمان ومكان وهل يفرق هذا عن نزوله من سماء المجد إلى سماء الدنيا متجسداً فى زمان ومكان .

ألا تقولون أن الله قادر على أن ينزل فى زمان ومكان ويجلس على عرش ويهبط إلى سماء الدنيا ويصعد وتحيط به ملائكة مخلوقة محدودة دون أن يحدد بزمان ومكان ؟ وأنه إذا أستوى على العرش فلايمكن أن يتحدد بحدود العرش المحدود لأنه على كل شئ قدير وماتعجز عقولنا عن إدراكه وتراه مستحيلاً فهو لدى الله ممكن وغير مستحيل ؟

وما أكثر الأحاديث التى تدل على اعتقاد المسلمين فى إمكانية ظهور الله وحلوله فى زمان ومكان وأنه يرى بالعين ويخاطب فماً لفم ويقترب من المحدود ويقترب المحدود منه تعالى ويكون مع الناس دون ان تمر على عقول المسلمين فكرة جواز المحدودية عليه تعالى .

فقد جاء فى حديث البخارى جزء ٤ ص ١٨٤ أن المؤمنين لما يتشفعون ربهم يوم القيامة فيأتون إلى محمد قال : فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى عليه . وفى حديث آخر فى ذات الجزء ص ١٨٨ يقول فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فأذا رأيت ربى وقعت له ساجداً .

أيها الأسياد كيف تتهمون عقلية المسيحيين عندما يقولون أن الله ظهر فى الجسد ولاتتهمون عقولكم عندما تصدق الأحاديث التى تجعل الله فى دار خاصة ومحمد يستأذن للدخول عليه تعالى فى داره فيدخل ويراه تعالى ويسجد له وجهاً لوجه.

وأنتم الذين تنددون علينا نحن المسيحيين لأننا نقول ان الله تجسد واخذ شكل البشر نراكم فى ذات الوقت ونرى قرآنكم ينسب إلى الله وجهاً كقوله : فأينما تولوا فثم وجه الله (سورة البقرة) ويبقى وجه ربك (الرحمن) ذلك خير للذين يريدون وجه الله (الروم) وانما نطعمكم لوجه الله (الانسان) .

وتعتقدون أن لله يداً كقوله : يد الله فوق أيديهم (الفتح) وأن الفضل بيد الله (الحديد وآل عمران) .

تعتقدون أن لله حقواً كما جاء فى حديث البخارى الجزء الثالث ص ١٢٤ عن أبى هريرة عن النبى (صلعم) قال : خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة

قال الا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فذاك .

وأنتم تعلمون أن الوجه واليد والحقو أعضاء بنى الانسان والحيوان أيضاً فاذا كان الله متجسداً يعتبر جنوناً وكفراً فكيف تقعون أنتم فى هذا الكفر وتصورون الله وله وجه ويد وحقو خصوصاً وان القرآن جاء بعد اليهودية والمسيحية يشن الغارة على القائلين بتجسد الله فكيف يجوز بعد ذلك أن ينسب لله أعضاء جسم الانسان والحيوان ؟

تغضبون وتثورون إذا قلنا أن الله أخذ جسداً بشرياً كاملاً وظهر فيه ولاتضحكون من أنفسكم إذا اعتقدتم باله أبتر له فقط بعض أعضاء الجسم .

وايتكم وقفتم عند هذا الحد من النسبة إلى الله بل رحتم تنسبون له تعالى ماينسب للبشر من الصفات فتقولون عنه أنه تعالى ماكر كقوله : ومكروا ومكر الله بهم (آل عمران) فلله المكر جميعاً (الرعد) أتأمنوا مكر الله (الاعراف) .

تنسبون له تعالى النسيان كقوله : نسوا الله فنساهم (التوبة) اننا نسيناكم (السجدة) .

تنسبون له تعالى الغضب كقوله : وغضب الله عليهم (الفتح) .

تنسبون له تعالى الحسرة كقوله : ياحسرة على العباد (يس)

تعتقدون أن الله يضحك كما جاء فى حديث البخارى الجزء الأول ص ١٠٠ عن ابى هريرة عن محمد حديث آخر رجل يبقى فى النار فيقول يارب اصرف وجهى عن النار .. الى قوله لاتجعلنى اشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له فى دخول الجنة .

تعتقدون أيضاً فى الله الغيرة كما فى حديث البخارى جزء ٣ ص ١٧٥ عن محمد قال ان الله يغار وغيرة الله ان ياتى المؤمن ماحرم الله.

فما قولكم فى ماتسبتم لله من أعضاء جسم وصفات بشرية كالمكر والنسيان والحسرة والغيرة والغضب والضحك ولاترون فى هذا التعبير غضاضة لأنكم تقولون أن الله بهذا التعبير قرب افهام الناس لفهم مقاصده وارادته تعالى لأن الناس لايستطيعون أن يعلموا ماهى ارادة الله الا بمثل هذا التعبير الذى لم يأنف تعالى من اتخاذه لتفهيم الناس حقائق سموية يريد اعلانها لهم فلماذا تتأففون اذ قلنا أن الله لما أراد أن يتقرب أكثر للبشر ويعلن ذاته بأوضح مما أعلن قديماً أخذ جسداً وظهر به وسط الناس ، وإذا كان الظهور بالجسد البشرى فيه معرة وفيه إهانة لجلاله لكان أولى الا يستعير أعضاء الجسم البشرى وصفات البشر ليطلقها على ذاته القدسية والغرض من الاثنين واحد وهو اعلان ذاته وصفاته ومقاصده تعالى .

وقد جاء فى الحديث القدسى المشهور وهو متواتر عند المسلمين كان تعالى لداود عليه السلام : كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فاحببت أن أعرف فخلقت خلقاً وتعرفت اليهم فبى عرفونى . انتهى .

واسمعـــوا أكثر من ذلك !

اختلف السلف قديماً وحديثاً فى مسألة معية الله وقد وقع فى هذه المسألة عقد مجلس فى سنة ٩٥٠ بين الشيخ بدر الدين العلائى الحنفى وبين الشيخ ابراهيم المواهبى الشاذلى وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وتذكر فحواها قال الشيخ بدر الدين العلائى الحنفى والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبى شريف وجماعة : " الله معنا باسمائه وصفاته لابذاته . فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته . فقالوا له ماالدليل على ذلك فقال قوله فى القرآن والله معكم وقوله أيضا وهو معكم ، ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد

المعية الذاتية ذوقاً وعقلاً لثبوتها نقلا وعقلا فقالوا له أوضح لنا ذلك . فقال حقيقة المعية مصاحبة شئ لآخر سواء كانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله ، أو واجباً وجائزاً وهو معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله في القرآن والله معكم ومن نحو : ان الله مع المحسنين ، ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه لايلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولابعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشئ معية الذات له وعكسه لتلازمها مع تعاليها عن المكان ولوازم الامكان لأنه تعالى مباين لصفات خلقه تبايناً مطلقاً وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقائد النسفي ان قوله المعتزلة وجمهور النجارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لأنه لايلزم أن من علم مكاناً ان يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا اذا كانت صفاته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لاعلم الحق انتهى ، على أنه يلزم من القول بان الله تعالى معنا بالعلم فقط بدون الذات استقلال الصفات بانفسها دون الذات وذلك غير معقول . فقالوا له فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان في قوله ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون أن في هذه الآية دليلاً على اقربيته تعالى من عبده قرباً حقيقياً كما يليق بذاته لتعاليه عن المكان اذ لو كان المراد بقربه

تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لاتعلمون ونحوه فلما قال ولكن لاتبصرون دل على ان المراد به القرب الحقيقي المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم أن البصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول فى قوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ماقلناه لأن أفعل من قرب يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان اختلفت الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لأن قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى ففى نسبة اقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على ان قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم لها الصفات . قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لاتعلق مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم فى قوله وهو معكم اينما كنتم فانه يوهم ان الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لايلزم من ذلك فى حقه تعالى المكان لأن أين فى الآية انما اطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمنا فهو مع صاحب كل اين بلا أين . انتهى . فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال ماجمعكم هنا فذكروا المسألة فقال تريدون علم هذا الأمر ذوقاً أو سماعاً فقالوا سماعاً فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها أبتداء وكانت الأشياء كلها ثابتة فى علمه أزلياً يقيناً بلا بداية لانها متعلقة به تعلقا يستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقه بها لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا فادهش السامعين

بما قاله فقال لهم اعتمدوا ماقررته لكم فى المعية واعتمدوه ودعوا ماينافيه تكونوا منزهين لمولاكم حق التنزيه ومخلص لعقولكم من شبهات التشبيه وأن أراد أحدكم ان يعرف هذه المسألة ذوقاً فليسلم قياده لى أخرجه من وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله إلى علم هذه المسألة ذوقاً وكشفاً قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه فى ذلك العهد ثم قام زكريا والشيخ برهان والجماعة وقبلوا يده وانصرفوا.

وإذ تقررت معية الله مع خلقه نقول ان حلول اللاهوت فى الناسوت جائز فليس كمعية الواجب للجائز بل هى اسمى بما لايقاس وإنما أوردنا المعية لتوضيح هذه المسألة وتقريبها لعقولنا على أن معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته هى فوق العقل فانه كيف تتصور عقولنا ان القدوس يوجد معنا فى محالنا الدنسة ولايخلو منه تعالى مكان فادراك هذا أصعب من تجسد الكلمة .

الإعتراض الثاني على التجسد

يقولون : كيف يحل الله القدوس في بطن امرأة وسط الدم ونجاسة الحبل والولادة ؟ وكيف يحل في جسد بشرى ياكل ويشرب ، يجوع ويعطش يبول ويتغوط ؟!

الـرد

اعتراضات يقرأها البسيط الساذج فيعتقد أنها اعتراضات وجيهة ويظن أنها محرجة لمركز المسيحيين ومضعفة لموقفهم. ولكن لاتلبث مثل هذه الاعتراضات حتى تتلاشى كالضباب أمام أشعة شمس البراهين المسيحية .

وهانحن نقول للسادة : إذا كان بطن امرأة ودمها وطمثها نجاسة في نظر الله تعالى وأن الله أقدس من ان يلمسه أو يحل فيه فكيف تصدقون وتقبلون وتؤمنون بأن الله هو الذى خلق المرأة بهذا التركيب النجس القذر الذى تتأففون منه؟! وإذا كان لايليق بقداسة الله أن يحل في بطن امرأة وسط دمها ونجاستها فكيف لاق به تعالى أن يمسك بيده القدسية التراب والصلصال ويصور منه آدم ويأخذ من آدم ضلعاً ويصور منه حواء ! فاذا رأينا البناء يمسك بيده الطوب المصنوع من الطين ، وكذا يمسك الطين والجير والحمرة وهو يبنى البيت فلانعترض عليه ولانتأفف من كونه يمسك مواد البناء بيده بل نعجب بهندسته ومتانة بنيانه فهل اذا أتم البناء بناء البيت وزخرفته وراح يسكن فيه فهل نعترض عليه ونظهر التأفف من سكناه في ماصنعه بيده أم نقول إذا كان قد تنازل وأمسك الطين والجير والحمرة والطوب في حال طراوتها التى تلوث من يمسكها فكيف لايجلس عليها ويسكن فيها وهى مزخرفة .

وهكذا الحال أيها الأسياد مع الله سبحانه وتعالى فانه خلق الانسان من

الطين دون أن يحط هذا من قدره أو يدنسه تعالى فكم بالحرى بعد أن سواه وجعله تاجاً للمخلوقات كيف يأنف من أن يحل فيه إذ لافرق بين أن يحمل الطين على يديه تعالى وبين أن يجلس عليه بعد تسويته بشراً سوياً وكلاهما لمس من الخالق للمخلوق .

والحقيقة أن الله تعالى لم يخلق شيئاً نجساً فى ذاته بل اسمع ماذا يقول الكتاب المقدس عن خلق المخلوقات : ورأى الله أنه حسن وعندما ختمت الخليقة بخلق الانسان يقول : ورأى الله كل ماعمله فاذا هو حسن جداً (تك ١:٣١) ويقول بولس الرسول ، إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شيئاً نجساً بذاته الا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس (رو ١٤-١٤) وذلك لان الله الخالق للاشياء ليس نجساً وكل مايصدر عنه ليس نجساً . وإذا كان الحيض والدم نجساً فى نظر الله وأنه لايليق بقداسته تعالى أن يمسه فماقولكم فى ماجاء فى حديث البخارى الجزء الأول ص٤٤ عن عائشة قالت . أن النبى صلعم كان يتكئ فى حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن ، وحديث آخر فى ذات الصحيفة قالت عائشة : كنت أغتسل أنا والنبى صلعم فى أناء واحد وكلانا جنب وكان يامرنى فاتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه وهو معتكف فأغسله وأنا حائض . وحديث آخر فى ذات الصحيفة قالت عائشة كانت احدانا إذا كانت حائضاً فاراد رسول الله صلعم أن يباشرها أن تتزر فى فور حيضها ثم يباشرها تابعه خالد وجرير عن الشيبانى .

فهوذا محمد الذى كان يكلمه الله وينزل عليه الوحى وهو مع عائشة تحت الغطاء لايرى فى الحيض نجاسة ولاقذارة ولامايتجنس والا لكان هو أولى الناس بالابتعاد عن الطامث والنوم فى حجرها أو مباشرتها .

وهوذا القرآن الذى هو كلمة الله الأزلية القائم بذات جوهر الله ولايقبل

الانفكاك أو الانفصال عن الله نراه يتلى من محمد وهو مضطجع فى حجر عائشة الحائض فلماذا تعترضون علينا إذا قلنا أن المسيح كلمة الله الأزلى حل فى بطن مريم العذراء؟ أم تقولون أن قليلاً من الماء يطهر ماترونه من أحاديث واعتقادات بخلاف عقائدنا التى لاتجدون لها مبرراً عندكم !

إن الدم يا أستاذ ليس نجساً كما تتوهم فهو الحياة والله تعالى هو روح الحياة واسمع ماجاء فى كتبك وماسطرته مجلة الاسلام التى اتخذتموها مسرحاً لتمثيلكم فقد جاء فى عددها ٤٧ من السنة الثانية بتاريخ ٢٤ مارس سنة ١٩٣٤ ص ٢٧ تحت عنوان موضوع الاضاحى وعادات الناس فيها . روى ابن ماجة والترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلعم قال : «ما عمل أدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من اهراق الدم ... وأن الدم ليقع من الله بمكان ، أى يشمل الله المضحى به برحمته ورضاه قبل أن تقع من الارض . وروى البزار وأبو الشيخ عن أبى سعيد قال رسول الله صلعم : يافاطمة قومى إلى أضحيتك فاشهديها فان لك بأول قطرة من دمها أن يغفر لك ماسلف من ذنوبك الخ .

فهل لك أن تقول عن الدم أنه نجس ولايليق بالله أن يمسه وهذه مكانة الدم الرفيعة عند الله ولاشئ أحب لدى الله من رؤيته والذى يغفر الخطايا والذنوب ويطهر من أوضارها .

اسمع أيها المعترض : أنت تعلم أو لاتعلم أن بطن مريم العذراء والدم وماتقول عنه أنه نجاسة ماهو الا جزء وأجزاء من عناصر الطبيعة لان كل مايتركب منه الانسان موجود فى الطبيعة ومن الطبيعة ولذلك قيل عن الانسان أنه العالم الصغير فاذا كنت ترى استحالة حلول الله فى الانسان لكونه مركباً من عناصر الطبيعة فاذن أنت تقول باستحالة وجود الله فى الطبيعة ويكون

العالم خالياً من وجود الله وإذا قلت أن الله موجود فى الطبيعة وأن الطبيعة تحيا به وتتحرك فيكون اعتراضك قد سقط وأن حلوله فى الطبيعة وفى كل مكان وفى بطن مريم العذراء معقول ومقبول ومسلم به لأن الانسان من الطبيعة والطبيعة فى تركيب الانسان .

وهلا تعتقد أن الله موجود فى كل مكان ولايخلو منه المكان وإذا كنت تعتقد بذلك حتما فهل تعتقد أنه تعالى يوجد فى المدافن والقبور حيث الجيف المنتنة ؟ وهل يوجد فى المراحيض وقد جمعت كل القاذورات ؟ وهل يوجد فى زرابى الخنازير والكلاب ؟ وهل يوجد فى أماكن الفجور والفحشاء وكل الموبقات وأنواع النجاسات .

فاذا كنت مضطراً أن تقول نعم أنه موجود فيها ، فاقول له كيف يقبل عقلك وجود الله فى وسط هذه الأقذار ولاتقبل حلوله فى بطن أقدس نساء العالمين .

لا . لا ياحضرات العلماء فانه كما قال الشيخ ابراهيم فى المناقشة الأزهرية التى ذكرناها هنا (لايلزم من ذلك فى حق تعالى المكان لأن اين فى الآية أنما أطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو مع صاحب كل اين بلا اين) .

اسمع ياعدوى وانت ياطنيخى ماجاء فى القرآن (سورة طه) قوله وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد فى النار هدى فلما آتاها نودى ياموسى انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ... اننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدونى (وفى سورة النمل أيضا) إذ قال موسى لأهله انى آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى أنه أنا الله العزيز الحكيم وكذلك وردت هذه

القصة فى (سورة القصص) ومنها يفهم أنه لما أتى موسى النار نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا اللّٰه رب العالمين . فمن هذه العبارات يتضح أن اللّٰه سبحانه وتعالى ظهر لموسى فى النار فى شاطئ الوادى الايمن .

فماذا تقولان أيها الشيخان فى ظهور اللّٰه وكلامه مع موسى من النار قائلا أنا ربك يعنى أن اللّٰه ظهر لموسى فى صورة النار ومعلوم أن النار عنصر من عناصر الطبيعة المركب منها الانسان . وأن النار تاكل وتشرب وتجوع وتعطش وتبول وتتغوط لأنها تأكل الخشب والفحم وكل مادة قابلة للاحتراق وتشرب الماء وتبول حين تحترق وتمتص رطوبتها وتبخرها بخاراً يتحول إلى ماء وتتغوط حين لاتبقى من المواد التى تحرقها الا الرماد والقطران وكل البقايا التى تطرح على المزبلة .

واسمع ايها الطنيخى فأعيد اليك ماكتبته بيدك فى مجلة الاسلام العدد ٨ أول يونيو ١٩٣٤ من كلام الغزالى حجة الاسلام قوله : ان اللّٰه تعالى متكلم بكلام أزلى قديم قائم بذاته لايشبه كلام الخلق فليس بصوت ولابحرف ولا بانطباق شفة أو تحريك لسان . وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب فى المصاحف محفوظ فى القلوب وهو مع ذلك قديم قائم بذات اللّٰه تعالى لايقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق .

وقد علقت أيها الطنيخى على أقوال الغزالى هذه بقولك . فان الغزالى يقرر فى صراحة ووضوح أن القرآن الذى هو صفة اللّٰه تعالى قديم ليس بحرف ولابصوت وأن القرآن المقروء بالألسنة المكتوب فى المصاحف ترجمة ودال على المعنى القديم القائم بذات اللّٰه وكلاهما يسمى قرآنا .

ويقول الجاحظ (ان القرآن جسد يجوز ان ينقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً)

أرأيت أيها المسلم كيف ان القديم القائم بذات جوهر الله يحفظ فى قلوب الحفاظ ويكتب فى الأوراق والرقوق والأحجار وفى نفس الوقت لايقبل الانفصال والافتراق عن الله ؟ أرأيت كيف أن كلمة الله أوصفة الله الأزلية تتجسد فى الكتب والمصاحف والاحجار والاقحاف وقلوب الحفاظ ويصير مرة رجلاً ومرة حيواناً .

تقولون أن القرآن كلمة الله الأزلية واعلانه الموحى للبشر ، أنه غير مخلوق لأنه صفة لازمة لله تعالى أما ألفاظه وحروفه وحركاته وآياته فمن أوضاع البشر وقد جعلوها تسهيلاً لادراك معناه .

وهذا عين مانقوله نحن المسيحيين عن المسيح كلمة الله الأزلى الذى يقول عنه القرآن أيضا أنه كلمة الله ، نقول عنه أنه غير مخلوق لأنه صورة الله الجوهرية أما جسده وروحه فبشريين مخلوقيين تسهيلا لادراك ابن الله ورؤية مجده كوحيد الاب .

ظهورات وتجسدات الهية
وردت فى الكتاب المقدس

وأعلم أننا إذا كنا قد أوردنا أدلتنا السابقة من القرآن والأحاديث فليس هذا منا شعوراً بحاجة إلى البرهان بل لحاجة المسلم إلى مايلزمه الحجة ويقف به موقف المقتنع المسلم بما جاء فى كتبه . أما نحن المسيحيين فلنا من أدلتنا مايغنينا عن كل كتاب آخر لأن ديننا يحمل دليله فى ذاته كالشمس التى لاتحتاج إلى دليل على سطوعها حتى ولو كان طالب الدليل أعمى فلها من حرارتها مايشعره بوجودها إذا لم يستطيع رؤية نورها فلقد سبق المسيحيين فاثبتوا حقائق المسيحية قبل أن ياتى محمد والقرآن بنحو ستة أجيال ولكن هو

شأننا فى كل زمان ومكان أن نقيم الدليل على صحة ديانتنا بحسب عقلية طالب الدليل والبرهان لان قصدنا اظهار حق الله لجميع الناس لأن الله يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون .

والحقائق المسيحية لايمكن تعبيرها بدقة وايضاح الا من الكتاب المقدس الذى يقول عنه القرآن : وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله (المائدة) وقوله ليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (المائدة) : قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل (المائدة) .

هذه الكتب المنزلة أعلن الله فيها ذاته وصفاته ومقاصده وارادته ومايرضيه ومايغضبه تعالى .

وهذا الاعلان مظهر لله تعالى لأنه لولا هذه الكتب الموحى بها لما كنا نعرف عنه تعالى مانعرفه الآن بل كنا نحن وأنتم نتخبط كالوثنيين فى دياجير من ظلام الجهل بالذات الالهية فهلا تعترفون بأن وحى الكتاب نوع من أنواع التجسد والظهور الالهى الذى أظهر الله فيه وبواسطته ذاته للبشر وتعرف اليهم وتحبب اليهم كما جاء فى الحديث القدسى .

أو كما قال الأستاذ الشيخ محمد عبده فى شرح الفاتحة بقلم السيد محمد رشيد رضا الطبعة الثالثة سنة ١٣٣٠ ص ٢٥ : فكأن الله تعالى أراد أن يتحبب إلى عباده فعرفهم ان ربوبيته ربوبية رحمة واحسان ليعلموا ان هذه الصفة التى هى الرحمة ربما يرجع اليها معنى الصفات وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب مرضاته منشرحة صدورهم مطمئنة قلوبهم والوالد الرؤوف يربى ولده بالترغيب فيما ينفعه والاحسان عليه إذا قام به اهـ .

والطريقة التى يتخذها الله تعالى لاعلان ذاته للبشر وتبليغ مقاصده هى نوع من أنواع الظهور والتجسد لافرق بين أن يكون هذا التجسد أو الظهور فى صورة الريح أى النار أو السحاب والضباب أو الدخان أو عقل النبى أو الورق أو الرقوق التى يكتب عليها الوحى والاعلان الالهى أو جسد المسيح الذى ظهر فيه وذلك كما يقول بولس الرسول : «الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الايام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شئ الذى به أيضاً عمل العالمين الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١:١-٣) .

وهاك أنواع الظهورات والطرق التى كلم الله بها الآباء والانبياء قديماً كما وردت فى الكتاب المقدس :

(١) جاء فى سفر التكوين وهو أول أسفار الكتاب المقدس (ص١:٢) قوله : «وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه» .

ولهذا التعبير معناه الذى نفهمه من عملية رفرفة الطير بجناحيه على بويضاته فالاحتكاك الناشئ عن الرفرفة يولد حرارة فى البويضات وفى الحرارة حياة ونمو لما هو فى داخل البويضات . وهكذا لكى يخلق الله خلقاً ويعمل فى المادة عملاً ويحدث فيها حياة فانه تعالى يتصل بمادة عبر عنها بالجناحين اللذين يرف بهما روحه على وجه المياه وفى هذا قال داود النبى فى (مز ١٧:٨) «بظل جناحيك احتمى» و (مز٣٦:٧) «ما أكرم رحمتك يا الله فبنو البشر فى ظل جناحيك يحتمون» .

(٢) جاء فى سفر التكوين (ص ٣:٨ ,٩) قوله : وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله

وسط شجر الجنة فنادى الرب الاله آدم وقال له «أين أنت» . وهنا ترى ظهوراً لله فى صوت يسمع ويمشى فى الجنة ووجه يختبئ منه آدم وامرأته .

(٣) وفى ص ٨ : ٢١ من السفر عينه يقول عن ذبيحة نوح : وتنسم الرب رائحة الرضا وقال فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً . فهنا يظهر الله وله أنف يتنسم بها رائحة البخور وله قلب .

(٤) (وفى ص ١١ : ٥) يقول : فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذين كان بنو آدم يبنونهما ، وهنا نرى الله ينزل وينظر .

وقد جاء فى حديث البخارى جزء ٤ ص ٦٨ قوله : يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة فى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فاستجيب له الخ .

(٥) وفى ص ١٨ من سفر التكوين ذاته يتكلم عن ظهور الله لابراهيم قال : وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال ياسيد ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا نفعل كما تكلمت .. ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .

فهوذا الله قد ظهر لابراهيم فى صورة البشر فى شكل ثلاثة رجال وقد اتكأ تعالى وجلس وأكل وشرب .

(٦) وفى ص ٢٨ يقول ان يعقوب اسرائيل رأى حلماً وإذا سلم منصوبة

على الأرض ورأسه يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق .

(٧) وفي ص ٣٢ يقول عن يعقوب وهو خائف من أخيه عيسو : وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى انه لايقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب . فقال لايدعى أسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل يعقوب وقال : اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لاني نظرت الله وجهاً لوجه .

فمن هذا الانسان الالهي الذي صارع يعقوب ويقول عنه يعقوب انى نظرت الله وجهاً لوجه ؟ ومن هو هذا الانسان الذي يبارك يعقوب ويغير اسمه الى اسرائيل ؟ أليس هو الله الذي ظهر في جسد انسان .

(٨) وجاء في (سفر الخروج ص ٣) «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان فساق الغنم إلى وراء البرية إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار وسط عليقة وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لانظر المنظر العظيم . لماذا لاتحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هانذا فقال لاتقترب الى هنا . اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة . ثم قال أنا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله .

وقد صادق القرآن على هذا الظهور الالهى فقال فى سورة طه : وهل أتاك حديث موسى اذ رأى ناراً .. الخ .

وفى هذا المظهر نرى الله سبحانه وتعالى قد تجسد فى عليقة وفى نار صدر عنها صوت ينادى موسى أنا ربك .

(٩) وعندما خرج بنو اسرائيل من أرض مصر وتعقبهم فرعون وجنوده إلى البحر الأحمر يقول الكتاب : وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج المصريين (خر ١٤:٢٤) .

فترى أن الرب يلبس السحاب والنار ويظهر فيها للشعب ويخلصهم من فرعون وجنوده وكان هذا رمزاً إلى ظهور الله فى شخص المسيح الذى له طبيعة اللاهوت المعبر عنها بالنار وبطبيعة الناسوت المعبر عنها بالسحاب الكثيف .

(١٠) وعندما أعطى الله الشريعة لموسى يقول الكتاب : وقال الرب لموسى ها أنا آت اليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك ... وكان جبل سينا كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار (خر ص ١٩) .

وهنا ترى أن الرب نزل على الجبل فى ظلام السحاب والدخان وأنت تعلم مما يتكون السحاب المظلم والدخان ففيه الكثير من ملح النوشادر الذى يوجد بكثرة فى بول الانسان وغائطه . فهل تعود بعد ذلك فتقول كيف يحل الله فى جسد يأكل ويشرب ويبول ويغوط .

(١١) وفى سفر الخروج ص ٢٤ يقول : ثم صعد موسى وهرون وناداب وابيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا اله اسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف كذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده الى

اشراف بنى اسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا .. وكان منظر مجد الله كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بنى اسرائيل .

وهنا ترى أن الله ظهر بصورة أمجد وراه أشراف بنى اسرائيل وله يدان ورجلان الا أنه لم يمد يده لأشراف بنى اسرائيل لأنه تعالى لايمد يده ليد البشر الاثمة إذ هم في حاجة إلى مصالح نقى طاهر قال عنه ايوب : ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا (أى ٩:٣٣) فجاء الذى قال عنه بولس الرسول : لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته (رو ٥:١٠) .

ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة أى أن الله كان فى المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعا فينا كلمة المصالحة (٢كو ٥:١٨، ١٩) .

(١٢) وفى سفر الخروج ص٤٠ يقول : ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملأ المسكن ... لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهاراً وكانت فيه نار ليلاً أمام عيون كل بيت اسرائيل فى جميع رحلاتهم .

وهنا ترى أن الرب لم يحل على الجبل فقط بل حل فى الخيمة المصنوعة بيد البشر وهى خيمة محدودة ومحمولة على أيادى البشر يحلونها وينصبونها وينتقلون بها من مكان إلى مكان وفى هذا الحلول تمهيد لعقول البشر لقبول فكرة حلول الله فى خيمة جسد المسيح المأخوذة من لحم ودم مريم العذراء البشرية التى حملته من مكان إلى مكان .

(١٣) وفى سفر العدد ص ١٢ يقول الله أما عبدى موسى فماً إلى فم

وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يعاين .

وفى سفر التثنية يقول موسى لبنى اسرائيل فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدمتم إلى جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقلتم هوذا الرب الهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار . هذا اليوم قد رأينا الله يكلم الانسان ويحيا (تث ص ٥) .

وهنا نرى الله يتكلم مع موسى بالفم ولم يستنكف الله من أن يقول عن ذاته القدسية أنه لما يكلم البشر يكلمهم فماً لفم ويريهم شبهه تعالى ويظهر لهما عياناً بمعنى أنه سمح للبشر أن يروه بعيونهم ويظهر لهم مجده فكيف لايقبلون القول بان الله حل فى بطن مريم ولبس جسداً قدوساً وكلم الناس بفم المسيح وظهر لهم فى صورته المقدسة وأسمعهم صوته المحيى .

(١٤) ويقول (أشعياء النبى ص ٦) رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل والسرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك قدوس قدوس قدوس رب الجنود .

ولاشك بأن السيد الذى رآه اشعياء جالسا هو المسيح ابن الله كما قال القديس يوحنا الانجيلى : ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول أشعياء النبى الذى قاله يارب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب . لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن أشعياء قال أيضاً قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم قال اشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه (يو ص١٢) .

فالنبى هنا رأى السيد جالسا على كرسى وله اذيال تملأ الهيكل وتحيط به

مخلوقات السارافيم .

(١٥) وحزقيال النبى فى رؤياه يقول : وعلى شبه العرش شبه كمنظر انسان عليه من فوق ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخله من حوله من منظر حقويه إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نار ولها لمعان من حولها كمنظر القوس التى فى السحاب يوم مطر منظر اللمعان من حوله هذا منظر شبه مجد الرب ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلم (حز ص١) .

ومن هنا ترى أن الرب ظهر لحزقيال النبى فى صورة انسان وله حقوان ودعى هذا شبه مجد الرب وماهذه الرؤيا الا توطئة لظهور ابن الله يسوع المسيح صورة الله ومجده كما يقول يوحنا الانجيلى : والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الاب مملوءاً نعمة وحقا (يو ١ : ١٤) .

وقد رأى يوحنا الانجيلى نفس هذه الرؤيا وكان الجالس على العرش والمسبح من الملائكة هو الرب يسوع المسيح قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة (رؤ ص٦) .

نبوات الكتاب المقدس بمجئ شخص الهى

(١) جاء فى سفر (التكوين ص٣) عن آدم وحواء عندما سقطا فى الغواية قوله تعالى للحية : «وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» .

ويعتبر هذا الوعد الالهى فجر النبوة عن المسيا المنتظر . وقد انضم القرآن الى اليهود والنصارى فى الاعتراف بمجئ هذا الشخص القدير والمنقذ العظيم

فقد جاء فى (سورة البقرة) (وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا فأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولهم يحزنون) .

فترى من هذه الآيات الكتابية والقرانية ان آدم تلقى كلمات من ربه وتاب عليه ولكن بالرغم عن التوبة عاد فقال اهبطوا منها فلو أن هذه التوبة كفرت عن ذنب آدم وغفرت خطيئته لما كان هناك داع لأن يقول تعالى بعد أن تاب عليه : اهبطوا منها ، والا فما منفعة التوبة اذا كان قد اعقبها الطرد والهبوط ولكن التوبة كانت سبباً فى الوعد الالهى بارسال مخلص وهاد يهدى الناس وينزع عنهم الحزن والخوف.

والا فقولوا لنا ونحن نستمع لكم من هو هذا الهادى الذى يسحق رأس الشيطان الذى غلب آدم أبا البشر والأنبياء ولم يسلم مخلوق من أذاه ووسوسته ونخسه وها الكتاب المقدس والقرآن يشهدان بأن لجميع الأنبياء سقطات استوجبت عليهم طلب الغفران وان الشيطان تسلط على الجميع واليكم ماجاء فى حديث البخارى جزء ٤ ص١٤ عن عائشة قالت : سحر رسول الله صلعم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان يخيل اليه انه كان يفعل الشئ ومافعله حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال يا عائشة ان الله افتانى فيما استفتيته فيه أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فى أى شئ قال فى مشط ومشاقة وجف طلع

نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلعم من ناس من أصحابه فجاء فقال ياعائشة كان ماءها نقاعة الحناء أو كان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين . قلت يارسول الله أفلا استخرجته . قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت (رواه ابراهيم بن موسى عن عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه وتابعه أبو أسامه وأبو ضمرة وابن أبي الزناد عن هشام) .

وفي ذات الصحيفة حديث آخر يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاماً عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلعم سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد مايكون من السحر ، والسحر من عمل الشيطان لأن جبريل لما أخرج السحر لمحمد رقاه بالمعوذتين حتى فك عنه السحر وأمره أن يتعوذ بهما دائماً كما ورد في البخاري الجزء الرابع ص ١٢ عن عائشة قالت كان رسول الله صلعم اذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله احد وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه ومابلغت يداه من جسده قالت عائشة فلما أشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به .

ومنطوق المعوذتين لايحتاج إلى تفسير أو تدليل على التعوذ من الشيطان .

وحديث البخاري به كثير من أقوال محمد عن قوة الشيطان وتأثيره في الناس جميعاً ففي الجزء الثاني ص ١٤٥ عن أبي هريرة قال : ان رسول الله صلعم قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظت فذكر الله انحلت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت كلها وفي ص ١٤٧ عن النبي قال : إذا نودي بالصلاة ادبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى أقبل فاذا ثوب بها ادبر

فاذا قضى أقبل حتى يخطر بين الانسان وقلبه .

وما لنا وهذا كله وقد قال محمد القول الفصل الذى لايدع مجالا للشك فى سلطة الشيطان على كل بنى آدم كما جاء فى حديث البخارى جزء ٣ ص ٧٤ عن أبى هريرة قال : ان النبى صلعم قال : مامن مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان اياه إلا مريم وابنها. وفى الجزء الثانى ص ١٥٨ يقول كان النبى صلعم يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بهما اسماعيل واسحق أعوذ بكلمات الله التابعة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة .

فمن يكون هذا الهادى الذى وعد الله به آدم وحواء ان يأتى من نسل المرأة ليسحق رأس الشيطان ، وهل يمكن أن يكون مجرد انسان ويسحق رأس الشيطان الذى هو ساحق الأنبياء ومرعبهم ان لم يكن شخصاً الهياً قادراً تفوق قدرته قوة البشر والشياطين .

فمن هو نسل المرأة الا المسيح الانسان والاله معاً الذى قال عنه بولس الرسول «ولكن الذى وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة . فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى أبليس .

وقول يوحنا الرسول «من يفعل الخطية فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطئ لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال ابليس» (١يو ٣:٨) .

(٢) قال الله بلسان اشعياء النبى : ولكن يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (اش ٧:١٤) وقوله ايضاً ، لانه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً

الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام ، لنمو رياسته والسلام لانهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد . غيرة رب الجنود تصنع هذا (اش ٩ :٦ ، ٧) .

فمن هاتين النبوتين نعلم ان بهذا المولود من العذراء التى لاتعرف رجلا يصير الله وسط الناس لأن كلمة عمانوئيل العبرانية معناها الله معنا كما قال متى الانجيلى (ص١ : ٢٠ - ٢٣) «واذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يايوسف ابن داود لاتخف ان تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد أبناً ويدعون أسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» . ولايمكن لعاقل أن يتصور ان هاتين النبوتين تنطبقان على أى أنسان وإذا وجد من يطلق هذه الأوصاف على مخلوق يعتبر مشركاً لأنه من ذا الذى يقال له من البشر انه عجيب مشير إله قدير أب ابدى رئيس السلام ليس لملكه نهاية . وليدلنا المكابر على شخص دعى بهذه الأسماء والصفات وها التاريخ أمامكم والكتب المنزلة والأحاديث الكثيرة ان كان فيها ذكر لانسان دعى الهاً قديراً أو أباً أبدياً لانهاية لملكه ورئاسته . اما نحن فلانقول ان هذا المولود اله آخر بل نقول هو الله ظهر فى الجسد . وهكذا فهم النبى أشعياء ان المولود الذى سيولد ويدعى الهاً هو الله ذاته ولذلك صرخ قائلاً : ليتك تشق السموات وتنزل (اش ٦٤ :١) وسبقه داود النبى وقال : يارب طأطئ سمواتك وانزل المس الجبال فتدخن (مز ٥:٤) ونطق بلسان كل بشرى قائلا : متى تاتى الى (مز ١٠١ :٢) .

ونحن نصارى ويهود ومسلمون نعتقد ان المتكلم فى النبوات والأنبياء هو الله . والله تعالى لايقول قولا لايتحقق والا كان كلام الكتب المنزلة مجموعة امانى

وآمال ومواعيد لاحقيقة لها ولاتحقيق . وإذا كانت كلمة الله لابد من تحقيقها فلاتستغربوا وان الله أتى فى الجسد .

(٣) وتنبأ ارمياء النبى قائلاً : «ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجرى حقاً وعدلاً فى الأرض » فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا (ار ٢٣ : ٥، ٦) .

فمن هو الغصن الذى قام بعد نبوة ارميا وجلس على كرسى داود ونحن نعلم والتاريخ يشهد انه من ذلك الوقت الذى تنبأ فيه ارمياء هذه النبوة إلى يومنا هذا قد زال الملك من بيت داود . فمن هو إذاً هذا الغصن الذى ينطبق عليه هذا الوصف الا شخص المسيح الاله والانسان معاً وقد دل على ناسوته القول بانه غصن لداود أى مولود من ذريته ودل على لاهوته القول بانه يدعى الرب برنا .

(٤) وجاء فى نبوة دانيال (٧ : ١٣، ١٤) : «كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والالسنة . سلطانه سلطان ابدى مالن يزول وملكوته مالاينقرض » قابل هذا بماجاء فى سفر الرؤيا ص ١٩:٦ حيث رأى يوحنا يسوع المسيح .

فمن هو الانسان الذى أعطاه الله سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ؟ فإن قلتم مجرد انسان تقعون فى ورطة لأن الله لايسمح لأى بشرى كان ان يكون معبود الشعوب والأمم والألسنة اما إذا كان هذا الانسان هو يسوع المسيح ابن الله المتجسد انطبق عليه هذا القول وأثبته الواقع لأنه لاتزال جميع الشعوب والأمم والقبائل والألسنة تتعبد له .

(٥) وجاء فى نبوءة (ميخا النبى ٥:٢) قوله : «أما أنت يابيت لحم أفراته وانت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً ومخارجه منذ أيام الأزل» .

فماقولكم فى هذه النبوءة الصريحة التى تقول بأنه سيخرج من بيت لحم أفراته متسلط مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل فعلى من تنطبق هذه النبوءة من البشر إلا على يسوع المسيح وحده كما قال القديس متى الانجيلى (ص٢:٣-٦) فجمع هيرودس كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم اليهودية لأنه مكتوب بالنبى وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل .

فكرة تجسد الاله فى الديانات الوثنية

لم تكن فكرة التجسد الالهى غريبة على الناس بل كانت من الحقائق المألوفة والعقائد الشائعة فأهل الهند الشرقية يحكون عن تجسد برهما وحلول فشنو وظهور كرشنا بصور بشرية وتعدد ظهوره فى أعصر متتالية وبين كل الأمم منذ أقدم العصور المتصل بنا نبأها الصحيح إلى يومنا هذا ما انفك الناس يعتقدون بتجسد الألهة فى صورة البشر .

ففى سفر الأعمال نقرأ عن بولس وبرنابا عندما دخلا إلى لسترة يبشران بالمسيح رأيا رجلا مقعداً من بطن أمه فشفاه بولس فصار يثب ويمشى فلما رأى أهل لسترة هذه المعجزة رفعوا أصواتهم قائلين ان الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا الينا فكان يدعون برنابا زفس وبولس هرمس وأتى كاهن زفس بثيران وأكاليل وأراد أن يذبح لهما فمنعه بولس وبرنابا قائلين لماذا تفعلون هذا نحن بشر تحت

الالام مثلكم نبشركم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل الى الاله الحى (أع ص١٤) .

وقد وضع محمد طاهر التنير كتاباً عنوانه إلى صليبى القرن العشرين المبشرين جمع فيه ماورد من العقائد الوثنية وقارنها بالعقائد المسيحية الخاصة بالتثليث وتجسد ابن الله الكلمة فذكر فى الفصل الرابع تحت عنوان (ولادة احد الآلهة الذين قدموا أنفسهم فداء عن الناس) أورد فيه عن الاله كرشنه وولادته وبيوظا عند الهنود وماورد عند المصريين عن حورس المولود من العذراء ايزيس وكيف أن هذا الاعتقاد عام عند اليونانيين وجزائر ليبارى والامم الساكنة شمالى أوربا كالاسوجين والنروجين والهولنديين وسكان المكسيك وميوتسيكو كولومبيا وسكان نيكاركوا والبيرو واديسيو كلفرنيا والايروكويسيون الى أن قال العلامة بونويك ، وأغرب عقيدة مع انتشارها فى ديانة المصريين الوثنيين القدماء هى قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شئ صار بواسطتها وانها (اى الكلمة) منبعثة من الله وانها الله . وقال فى ص ٤٠٤ وكما أن للكلمة مقاماً عند المصريين القدماء كذلك يوجد فى كتبهم الدينية المقدسة هذه الجملة : أنى أعلم بسر لاهوت الكلمة وهى كلمة رب كل شئ وهو الصانع لها . فالكلمة هى الاقنوم الأول بعد الاله وهى غير مخلوقة وهى الحاكم المطلق على كافة المخلوقات وفات محمد طاهر التنير أن عموم الاعتقاد دليل قاطع على أن هذه العقيدة المجمع عليها لها موضع من الحق لانه اذا صدق البشر على رأى واحد فتصديقهم نتاج حكم الضمير والعقل وليس ذلك عن تصور ولاتخيل .

فوجود هذه العقائد عند جميع أمم العالم الوثنى والهمجى والمتمدين لايطعن فى صحة أصلها والا فما رأى الأستاذ التنير فى اجماع هذه الأمم والقبائل والقارات على وجود الاله الأعظم فهل يقول التنير : بما أن التوراة والانجيل والقرآن علمت بوجود كائن عظيم خالق السموات والأرض وبما أن هذه

العقيدة توجد عند وثنيي العالم كله فيكون تعليم التوراة والانجيل والقرآن مأخوذ عن أصل وثني ؟! أم يقول معنا ان الاجماع العام دليل على حقيقة وجود الله .

وماراًى حضرته فى ما أورده فى كتابه عن تقاليد الوثنيين عن كلمة الله المولود من عذراء فهل يقول وبما ان القرآن يقول عن المسيح انه كلمة الله وانه ولد من عذراء فيكون القرآن من أصل وثني لأن الوثنيين قالوا بما قال به القرآن.

ويعوزنا الوقت لو عددنا للتنير ماورد فى الكتب التى أخذ حضرته عنها عن الآثار الوثنية الدالة على آدم وحواء والشجرة والحية والشيطان وخلق الستة أيام والطوفان وهذه واردة أيضاً فى التوراة والانجيل والقرآن فهل يقول التنير بما أن هذه الأمور الواردة فى الكتب المنزلة قد سبق الوثنيون واعتقدوا بها فيكون القرآن من أصل وثني هو والتوراة والانجيل .

وليعلم التنير وأمثاله أن الديانات الهندوكية والاغريقية تكلمت عن تجسد الآلهة ولكن التجسد فيها يختلف عن فكرة التجسد فى المسيحية فان تجسد كرشنا مثلا كان تجسداً وهمياً ولم يكن له أية رابطة تاريخية تربطه بالزمن وهكذا كان ظهور آلهة الاساطير القديمة من اغريقية ومصرية . فكان من السخافة أن يسأل الانسان متى ظهر اوزيرس او اتيس فى الجسد . قد كان يمكن للوثني أن يفهم هذا التجسد على أنه رموز أو حقائق عامة تنطوى على معان رمزية ولكنه لم يفهم هذه (التجسدات) على أنها حقائق تاريخية لذلك ترى فلاسفة الأغريق تهكموا على بولس فى اريوس باغوس عندما تكلم عن رجل أقامه الله من الأموات وبه يتم خلاص البشرية . فكلمة الله الذى صار جسداً هو الماسيا اليهودى وهو الانسان يسوع المسيح الذى رآه كاتب الانجيل ورآه الحواريون وأكلوا وشربوا معه ورأوا مجده ورأوا آلامه وتعبه وجوعه وعطشه وموته وقيامته وصعوده ودخوله إلى مجده . ورأوا مجده مجداً كوحيد من الآب

معلوماً نعمة وحقاً . تلك هى غرابة المسيحية .

هل المسيح هو الله ظهر فى الجسد؟

لقد أعلن السيد عن نفسه أنه ابن الله الوحيد ظهر فى الجسد وانه المسيا المنتظر الذى تنبأت عنه جميع الأنبياء فى الكتب المقدسة السموية .

والادعاء سهل وما أكثر الأدعياء ولكن اثبات الادعاء ليس بالأمر الهين لاسيما إذا كان الادعاء خطيراً مثل ادعاء الالوهية فلايقدر انسان أن يقول عن نفسه أنه إله الا إذا كان له سند من ذاته وصفاته وأعماله وفوق ذلك يجب أن يكون له سند من الكتاب المقدس ونبوءات الأنبياء . ألا ترى إلى محمد كف أنه حاول مراراً فى اجتهاد أن يحصل على دلائل من التوراة والانجيل تدل على نبوته وصدق ارساليته مما يدل على أن التوراة والانجيل هما المرجعان الحقيقيان اللذان يجب الرجوع اليهما فى كل ادعاء وهما الشاهدان الحقيقيان على صدق كل رسالة فهلموا بنا إلى التوراة والانجيل لنرى يسوع المسيح على ضوئهما.

المسيح على ضوء الكتاب المقدس

لم يكن السيد المسيح كبقية المرسلين الذين جاءوا بغتة إلى هذا العالم على غير انتظار بل هو مشتهى الأمم ومرتقب العالم ورجاء الشعوب وموضوع أحلام البشرية والذى توقعته الانسانية جمعاً من اليوم الذى وعد الله آدم بعد السقوط بمجيء مولود المرأة الذى يسحق رأس الحية كما مر بك وقد تنبأت عنه جميع الأنبياء وعن صفاته وأعماله ومكان ميلاده وظروف حياته حتى مماته وقيامته فكان المحور الذى تدور عليه النبوءات بل كما قال الرسول «ان شهادةيسوع روح النبوءة» .

وكما يقول بطرس الرسول : «الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم ، باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح» (١بط ١:١٠،١١).

ويضيق بنا الوقت والصحائف إذا أتينا على جميع النبوات الواردة عن المسيح ونكتفى بأن نذكر هنا :

أولاً : النبوة عن مكان ولادته وملابساتها : تنبأ ميخا النبى قائلا : اما أنت يابيت لحم افراته وانت صغيرة ان تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على اسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (مى ٥:٢) .

وبالرغم من عدم أهمية بيت لحم وصغرها فقد تنبأ النبى أن منها يخرج المدبر الذى يرعى شعب اسرائيل ومع ان ميخا كان معاصراً لأشعياء النبى وفى ذاك الوقت كان الملوك نسل داود يقطنون أورشليم قصبةملكهم فمن الطبيعى اذا ان يولد مسيا فى أورشليم ولكن على عكس ذلك تنبأت النبوة بميلاده فى بيت لحم مسقط رأس داود على صدق النبوة التى رأت أسرة داود المالكة وقد تزعزع صولجانها وضاع ملكها فى أورشليم وظلت ساكنة فى بيت لحم مسقط رأسها التاريخى وفى الوقت المعين سيخرج منها المدبر الذى يرعى شعب اسرائيل .

وهذه النبوة قد فهمها علماء اليهود ورؤساؤهم أنها كانت عن شخص المسيح كما يتضح من انجيل (متى ص٢:٢، ٤) قوله عن هيرودس الملك لما سمع من المجوس عن ولادة المسيح «جمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح فقالوا له فى بيت لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبى وأنت يابيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل» .

وفعلا ولد المسيح فى بيت لحم اليهودية كما يقول لوقا الانجيلى : وفى تلك الايام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة وهذا الاكتتاب جرى اذ كان كيرنيوس والى سورية فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته. فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته فى المزود (لو ١:٢-٧) فمع كون مريم ويوسف كانا يقطنان الناصرة فى الجليل عند الحبل بالمسيح الا أن التدبير الالهى حرك أغسطس قيصر الى عمل هذا الاكتتاب الذى أجبر الناس على الذهاب كل الى وطنه الأصلى وذلك ليعود يوسف ومريم وتتم ولادة المسيح فى بيت لحم طبقاً لنبوءة داود النبى عن هذا الاكتتاب قوله : هذا ولد هناك وصهيون يقال هذا الانسان وهذا الانسان ولد فيها وهى العلى يثبتها ، الرب يعد فى كتابة الشعوب ان هذا ولد هناك (مز ٨٧:٤-٦) فالمسيح المولود فى بيت لحم فى زمن الاكتتاب ليس هو مجرد انسان بل هو اله وانسان معاً لأنه لايقال عن مجرد انسان ان مخارجه منذ القديم منذ ايام الأزل الا اذا كان هذا الانسان الهياً .

(٢) تنبأت الأنبياء عن تسبيح الملائكة له ليلة مجيئة على الأرض فهو قال أيوب عندما ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله (أى ٣٨:٧) وقال داود النبى : سبحوا الرب من السموات سبحوه فى الأعالى ، سبحوه ياجميع ملائكته ، سبحوه ياكل جنوده (مز ١٤٨ :١، ٢) .

وهانحن نقرأ فى الانجيل عن ليلة ميلاد المسيح قوله : وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم واذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً فقال لهم الملاك لاتخافوا فها أنا

أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة» (لو ٢: ٨-١٤)

فما معنى هذا كله ياترى ؟ وفى ولادة أى انسان مهما عظم شأنه فى العالم حدث فى ليلة ميلاده ان نزل الملائكة من السماء تسبح له ؟ الا يتوقف هذا الحادث النظر فيفكر الناس متسائلين من هو هذا المولود ، أليس هو الرب كما قال الملاك للرعاة لذلك نزلت ملائكته معه لتسبحه على الأرض اتماماً لنبوة داود القائلة «سبحوا الرب من السموات سبحوه فى الأعالى سبحوه ياجميع ملائكته ، سبحوه ياكل جنوده» .

ماذا نقول إذا سمعنا بغتة موسيقى جلالة الملك تصدح ونظرنا حرسه قائماً فى مكان ماغير قصر جلالته ألا نقول فى تأكيد أن جلالة الملك هنا فى هذا المكان الذى نسمع فيه موسيقى جلالته تصدح وحرسه يحيط بالمكان .

وإذا ما استيقظنا ليلاً على أصوات المدافع ومهراجانات الفرح وأنوار الصواريخ أيقنا فى الحال أن ولى العهد قد ولد فى القصر الملكى . فلماذا تجمد أفكارنا وتتنازل عن المنطق والتفكير السليم فى هذا الحادث العظيم وتلك الليلة التاريخية حيث صدحت موسيقى السموات وترنمت ملائكتها وأشرقت أنوارها الساطعة حول رعاة بيت لحم وهم يسمعون تسبحة الملائكة «المجد لله فى العلا وعلى الارض السلام وبالناس المسرة» فنقول نحن بدورنا المجد لله الذى استجاب صرخة البشرية بلسان أشعياء النبى القائل ليتك تشق السموات وتنزل فنزل ونزلت معه أجواق الملائكة تسبحه «كما فى السماء كذلك على الأرض».

(٣) تنبئ عن ظهور نجم جديد عند ولادته كما أنبأ بذلك بلعام العراف الذى من نهر الفرات فى بلاد المجوس قائلاً : أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن ليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من اسرائيل (سفر العدد ص ١٧:٢٤) وقد تحققت هذه النبوءة عند ميلاد المسيح كقول متى الانجيلى «ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود فاننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له .. فلما سمعوا من الملك ذهبوا وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جداً وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً (مت ٢:١-١١) .

وقد أدرك المجوس ذلك من نبوءة بلعام هذه التى كانت قد شاعت ذاك الوقت وحفظها الناس مدة ١٥٠٠ سنة وتوقعوا حدوثها حتى اذا ماظهر نجم المسيح أسرعوا إلى بلاد اليهودية ليروا هذا المولود العجيب الذى بظهوره ظهر نجم جديد فى العالم يدل على ظهور بشرية متخذ أصلها من السماء ، بشرية نور ليس فيها ظلمة الخطية ، بشرية يسوع الذى قال ليوحنا صاحب الرؤيا «انا يسوع الذى أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الأمور انا أصل وذرية داود كوكب الصبح المنير» (رؤ ٢٢:١٦) .

ولولا أن المجوس علموا أن هذا المولود الجديد شخص سماوى وليس ملكاً أرضياً لما أتوا من بلادهم بصفتهم ملوكاً يحملون الهدايا ويقدمون له السجود والعبادة بل ربما كانوا يضطربون كما اضطرب هيرودس الملك خوفاً على ملكهم . والملوك لايقدمون هداياهم وسجودهم الا لملوك أعظم منهم فهؤلاء الملوك بسجودهم للمسيح قد اعترفوا بأنه ملك الملوك ورب الأرباب ملك السموات

المتسلط على القلوب . والا فقولوا لى ماذا وجدوا فى هذا الطفل من المهابة والجلال حتى سجدوا له وقد وجدوه فى مكان حقير مع والدين فى غاية الذلة والمسكنة؛ نعم وجدوا فيه الهاً قديراً فى صورة البشر .

(٤) تنبئ عنه بأن له الالقاب الإلهية

أ) دعى الهاً

تنبأ عنه داود النبى قائلاً «كرسيك يا الله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم من أجل ذلك مسحك الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥: ٦، ٧).

وتنبأ أشعياء عنه قائل «ولكن يعطيكم السيد نفسه آية هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل (اش ٧: ١٤) وقوله ايضا «لأنه ولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً الهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لانهاية ، على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» (اش ٩: ٦، ٧) .

والنبؤات لاتفسر على الوجه الصحيح الا فى نور العهد الجديد الذى يشرحها شرحاً مدققاً وان كان لنا أن نستعمل عقولنا فنقول بانه معلوم ان لا انسان من البشر دعى الهاً على النحو الذى جاء فى نبؤات داود واشعياء هذه اذ لا انسان فى الوجود يحب البر ويبغض الاثم فالكتاب المقدس قرر بلا استثناء «انه ليس بار ولاواحد إذ الجميع زاغو وفسدوا وليس من يعمل صلاحاً» (مز ١٤: ٣) وانه لايمكن ان يكون هذا الشخص مجرد اله لأن الاله لايمسح من اله اخر كما وان ليس لله رفقاء لأن الله واحد لاشريك له ولارفيق ولانه قيل كرسيك يا الله وفى نفس الوقت قيل له لقد مسحك الله الهك فهو يخاطب كاله وكعبد

للاله.

فاما النبوة الأولى فقد طبقها بولس الرسول فى العهد الجديد على المسيح قائلاً : «لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك .. وايضا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله وعن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم من أجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» (عب ١:٥-٩) .

وأما النبوة الثانية فقد طبقها متى الانجيلى على المسيح قائلا: اما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا لماكانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً يايوسف ابن داود لاتخف ان تاخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا» (مت ١٨:١-٢٣) .

ويقول لوقا الانجيلى : وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم . فدخل اليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة انت فى النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ماعسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك لاتخافى لانك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع هذا يكون عظيماً وابن العلى

يدعى ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولايكون لملكه نهاية فقالت مريم للملاك كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلا قط فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١:٢٦-٣٦) .

والقرآن أيضاً تكلم عن كيفية الحبل بالمسيح وولادته بما يطابق الانجيل فقد جاء فى (سورة آل عمران) قوله : وإذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .. إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت ربى انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون (وفى سورة مريم) قوله : واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً . قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً .

وفى سورة النساء يقول : انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم .. انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه .

فولادة المسيح الخارقة للطبيعة لايمكن أن تكون خالية من القصد والغرض الاسمى بل كما يقول القرآن فى الآيات التى ذكرناها أنها كانت أمراً مقضياً .

نعم خلق آدم من غير أب ولا أم بل أخذ من التراب ونفخ فيه فصار آدم نفساً حية وذلك لأنه كان بدء الخليقة البشرية ولم يكن هناك أب ولا أم يولد

منهما آدم . ولكن لما وجد آدم على هذه الصورة وأراد تعالى أن يخلق حواء لم يأخذ طيناً آخر من الأرض ويصنع له حواء بل أراد سبحانه وتعالى أن يضع ناموس التوالد فأخذ واحدة من أضلاع آدم وصنع منها حواء وبعد أن خلق الله حواء من آدم صار وحواء يلدان بالتلقيح وهنا تقدس ناموس التوالد وأصبح اجتماع الذكر بالأنثى ناموساً ثابتاً يسرى على البشر عموماً والحيوانات والطيور ولم يخترق هذا الناموس الطبيعى الا فى ولادة السيد المسيح فقط حيث غير الله مجرى الطبيعة واخترق ناموس التوالد وكان هذا الاختراق أمراً مقضياً (فما هذا القضاء ياترى الذى لأجله غير الله الناموس الطبيعى وما الداعى لهذا الأمر المقضى به؟) .

ان الله لايعرف العبث فلايعمل شيئاً عبثاً بل لحكمة فائقة لاسيما إذا كان فى عمله هذا خرق لنواميس وضعها وسار عليها نظام العالم وسيسير إلى الأبد! إن الأمر واضح لايحتاج إلى إطالة النظر وهو أن الطبيعة البشرية قد فسدت بفساد آدم وخطيئته وماعادت هذه الطبيعة تصلح لأن تتحد بلاهوت ابن الله لذلك أرسل الله روحه القدوس وحل على مريم عوضاً عن الزرع البشرى وهيأ منها جسداً يصلح أن يكون مظهراً لابن الله الوحيد ، والا فلماذا لم يولد نبى من الانبياء على هذه الصورة حتى ولا الذى يعتقدون فيه أنه سيد الأنبياء والمرسلين ؟ أما ابن الله يسوع المسيح الذى جاء إلى العالم ليخلص الناس من خطاياهم قد قضى الله أن يهيئ له جسداً بشرياً جديداً طاهراً من كل اثم وشر كما تنبأت الأنبياء واقتبس أقوالهم بولس الرسول قائلاً : لأنه لايمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا . لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً (عب ١٠: ٤، ٥) .

وهذا الجسد مهيأ بطريقة جديدة وخلق جديد هو الذى يتوقف عليه أمر

الفداء والخلاص لانه لايمكن لأثيم أن يكفر عن أثيم أو يشفع فيه لان الأثيم بحاجة إلى من يكفر عنه فكيف يكفر عن غيره لذلك اقتضت حكمة الله أن يرسل ابنه إلى العالم كما يقول الرسول : لانه ماكان الناموس عاجزاً عنه في ماكان ضعيفاً بالجسد فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولاجل الخطية دان الخطية في الجسد (رو٨:٣) .

لذلك كان قضاء ربك عادلاً وحكيماً ان الذى يدين الخطية يجب ألا يكون جسده مستعبداً للخطية لذلك ولد ابن الله من جسد بشرى ولكن ليس من زرع بشرى وهذا ماعناه الرسول بقوله فى شبه جسد الخطية وهذا كله قد رمز اليه فى العهد القديم بالحية النحاسية حينما أخطأ الشعب الاسرائيلى وسلط الله عليه الحيات السامة فلدغتهم ولما صرخوا الى الله تائبين أمر الله عبده موسى فصنع لهم حية من نحاس لامع وعلقها على رابية فكان كل من ينظر اليها من الذين لدغتهم الحيات يشفى من لدغتها وهذه كانت رمزاً الى جسد المسيح المصلوب . فكما أن الحية النحاسية كان لها صورة الحية السامة ولكنها كانت خالية من السم هكذا كان جسد المسيح شبه جسد البشر الخطاة ولكنه كان خالياً من خطايا البشر وذلك كقول المسيح له المجد : وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم (يو ٣: ١٤-١٦) .

وقال يوحنا الرسول : ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق فى ابنه يسوع المسيح هذا هو الاله الحق والحياة الأبدية (١يو ٥: ٢٠) .

قال بولس الرسول : الذين هم اسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود

والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل الهاً مباركاً إلى الأبد امين (رو ٩:٥) .

وقال يوحنا الانجيلي «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو ١:١) .

(٢) دعى رباً

قال لوقا الانجيلي عن المسيح : ثم قال الرب فبمن أشبه أناس هذا الجيل (لو ٧:٣١) وفي سفر الأعمال يقول : فكانوا يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول : أيها الرب يسوع أقبل روحي (أع ٧:٥٩) وبولس يقول «ان اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك ان الله أقامه من الأموات خلصت .. لان كل من يدعو باسم الرب يخلص» (رو ١٠:٩، ١٣) ويقول أيضاً نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح (١كو ١:٣ و٢تس ١:٢) انظر (رو ٦:٢٠، ٢٤ و٥:٢١ و ٦:١١ و٢٣ و٧:٢٥ و١كو ٩:١) .

ورب قائل يقول ان المسيح دعى بالرب كما يدعى رب البيت فنقول له ان دعوة المسيح بالرب هي غير دعوة البشر بها لان الانجيل يدعوه رباً الهاً كما يقول بولس ولكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به (١كو ٨:٦) وقول بطرس الرسول «الكلمة التي أرسلها الى بني اسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل» (اع ١٠:٣٦) .

وقد رآه يوحنا الرسول وقال عنه : متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله .. وله على ثوبه وفخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الارباب (رؤ ١٩:١٣، ١٦) .

فإذا كان الكتاب المقدس قد دعا الناس أرباباً فانه دعى المسيح الرب الوحيد ورب الكل ورب الارباب .

يقولون ومادليلكم على أن قوله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو١:١) يراد به المسيح نقول لهم ان ذات الاصحاح الواردة فيه يعود فيقول «والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الاب مملوءً نعمة وحقاً يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذى قلت عنه ان الذى يأتى بعدى صار قدامى لانه كان قبلى ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة لان الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا ، الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى هو فى حضن الاب هو خبر» (يو ١٤:١-١٨) ويقول عنه يوحنا الرسول ذاته فى رسالته الاولى (ص١:١، ٢) «الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة فان الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الاب وأظهرت لنا» .

وذات القرآن قد شهد للمسيح بأنه كلمة الله كقوله فى سورة النساء (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم) .

يقول الهاربين من الحقيقة ان (الكلمة) معناها كلمة التكوين وصفة الامر وفاتهم ان (الكلمة) الواردة فى انجيل يوحنا والقرآن لاتشير إلى أمر الالهى أو إلى كلمة نطق بها تعالى على أفواه الانبياء والرسل بل تشير الى شخص ذات وجود لانه يقول فى البدء كان الكلمة وانه قائم بذاته مساو له لانه ملقب بذات اللقب الالهى اذ قيل عنه وكان الكلمة الله وقد نسبت اليه أعمال خاصة كالخلق والحياة حيث يقول عنه: «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان » والأحاديث الإسلامية تثبت هذه الحقيقة وتعلن أن «الكلمة» شخص له وجود

سابق قبل ولادته من مريم العذراء فقد جاء في مشكاة المصابيح المجلد الأول الباب الرابع الفصل الثالث أن المسيح عيسى كان من ضمن الأرواح وأرسلناه إلى مريم ثم هناك حديث عن أبى فى ذات الكتاب يقول بأن روح المسيح دخل مريم من فيها .

يقول قائل : ان المسيح دعى كلمة الله لكونه خلق بكلمة الله أى أمره وهذا قول المستجير من الرمضاء بالنار ، لأن العالم كله قد خلق بأمر الله فادم وابراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء وسائر البشر قد خلقوا بأمر الله ومع ذلك لم يدع الكتاب المقدس ولا القرآن واحداً منهم بأنه كلمة الله بل دعى ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله والقرآن دعا محمداً رسول الله وعبده اللهم إلا اذا كانوا يعتقدون أن هؤلاء جميعاً خلقوا بغير أمر الله ماعدا المسيح الذى خلق وحده بأمر الله .

ونتحداهم قائلين هل تستطيعون بصفتكم مسلمين أن تسموا موسى كلمة الله أو ابراهيم كلمة الله أو محمداً كلمة الله بما أن هؤلاء جميعهم خلقوا بأمر الله ؟!

يقولون : ان المسيح دعى كلمة الله لكونه خلق بدون نطفة أب .

نقول لهم أن السموات والأرض وآدم وحواء خلقوا بدون نطفة أب فهل يجوز أن ندعو كلا من آدم وحواء كلمة الله؟ والسموات والأرض كلمة الله أم نقول قولاً صحيحاً كما يقول المزمور بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها مز٣٣:٦.

يقولون أن لفظة الله واله قد تسمى بها الكثير من البشر كموسى عندما امتنع عن تبليغ فرعون قال له الله خذ أخاك هرون معك وهو يكلم الشعب عنك ،

وهو يكون لك فماً وأنت تكون له الهاً (خر ٤:١٦) وقوله فى المزمور عن قضاة اسرائيل أنا قلت أنكم الهة وبنو العلى كلكم (مز ٨٢:٦) .

نرد عليهم بأن الكتاب المقدس قد دعا أشياء كثيرة آلهة فدعا المال الها والشيطان اله هذا الدهر ودعا الأصنام اله أيضا ولكنه لم يدع أحداً من أولئك بالله - بال التعريف بل دعا الواحد منهم الها والجمع الهة تسمية مجازية لاحقيقية وهذا واضح من قول الله لموسى ان هرون يكون لك فماً وأنت تكون الها فلاهرون كان فماً لاصقاً فى جسد موسى كما أن موسى لم يكن الها من قبل بل يقول له تعالى تكون الها أى وقت الرسالة والتبليغ لكونه قبل من الله أوامر إلهية ليبلغها إلى فرعون بواسطة هرون أخيه .

كما أن الذين قال لهم أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم قيل عنهم فى ذات المزمور وفى الآية التالية لهذا القول أنهم مثل الناس يموتون وكأحد الرؤساء يسقطون وهذه قرينة تبين أنهم دعوا الهة من قبيل المجاز وليس كما دعى السيد المسيح الذى أثبت ان الوهيته غير الوهية هؤلاء الرؤساء وبين الفرق بين الوهيته الحقيقية والوهيتهم المجازية حين جاء بهذا النص عينه عندما شرع اليهود يرجموه قائلين . لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لاجل التجديف . فانك وأنت إنسان تجعل نفسك الها أجابهم يسوع أليس مكتوب فى ناموسكم أنا قلت أنكم آلهة . إن قال آلهة لاولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولايمكن أن ينقض المكتوب فالذى قدسه الاب وأرسله إلى العالم تقولون له أنك تجدف بأنى قلت أنى ابن الله (يو ١٠:٣٣-٣٦) .

فمن هذه المقابلة نفهم أن ألوهية المسيح حقيقية غير ألوهية الرؤساء والكهنة المجازية كما بين السيد المسيح القرينة الداعية لتسميتهم آلهة .

فلو أن المسيح كان يقصد بقوله أنه الله أو ابن الله كلاماً مجازياً لكان

أظهر لليهود ذلك لكى يبرر نفسه من تهمة التجديف التى وجهوها اليه لكونه قال أنا ابن الله بل نراه قد صمم على أن قوله هذا حقيقة لامجازاً بالمقابلة التى أجراها بينه وبينهم من جهة تسميتهم بآلهة وتسميته بابن الله . وقد كانت عادة المسيح أنه اذا تكلم كلاماً مجازياً ورأى الناس لم يفهموا كلامه على وجه المجاز فسر لهم المعنى المراد من كلامه كما حدث مع تلاميذه يوم أوصاهم أن يتحرزوا من خمير الفريسيين فلما رآهم قد أخذوا قوله على ظاهره وتذمروا من كونهم لم يأخذوا معهم خبزاً ثم يأمرهم أن يتحرزوا من خمير الفريسيين اضطر ان يقول لهم بانه لم يقصد خبز الفريسيين بل يحذرهم من تعليم الفريسيين الذى هو الرياء.

ولكن هذه المرة التى تكلم فيها عن الوهيته وتذمر الرؤساء والكهنة من كلامه واتهموه بالتجديف فانه اصر على ماصرح به وماقهموه منه بأنه يدعو نفسه ابن الله حقيقة وأكد ذلك بأن اظهر الفارق الكلى بين تسمية أولئك الرؤساء بالآلهة وتسميته هو بالله أى ابن الله .

(٣) دعى المسيح ابن الله

جاء فى انجيل مرقس (ص١:١) قوله «بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله » وفى انجيل يوحنا (ص١:٤٩) قال نثنائيل ليسوع «انت ابن الله ملك اسرائيل» وقال المسيح عن نفسه «لانه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية لانه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص العالم» (يو٣: ١٦، ١٧) وقول يوحنا الرسول «لاجل هذا اظهر ابن الله لكى ينقض اعمال ابليس» (١يو٣:٨) وقوله «من اعترف ان يسوع هو ابن الله يثبت فيه وهو فى الله» (١يو ٤: ١٥) وقوله «من هو الذى يغلب العالم إلا الذى يؤمن أن يسوع هو ابن الله» (١يو٥:٥) وقوله «هذه هى شهادة

الله التى قد شهد بها عن ابنه من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة من نفسه ، من لايصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه ، وهذه هى الشهادة ان الله اعطانا حياةأبدية وهذه الحياة هى فى ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة .

والشهادة بأن المسيح ابن الله قد أداها شهود ثقات :

١- الملاك جبرائيل عندما بشر أمه مريم بولادته قائلاً «وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميته يسوع هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى .. الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله» .

٢- شهادة الآب له مرتين قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب (مت ٣:٧ و ٥:١٧)

٣- شهد له يوحنا المعمدان (يحيى ابن زكريا) قائلا وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله (يو ٣٤:١) وقوله ايضا الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ فى يده الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لايؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله (يو ٣٥:٣، ٣٦).

٤- شهادة بطرس تلميذه عندما اعترف قائلا : أنت المسيح ابن الله الحى .

٥- شهادة المسيح عن نفسه كما ورد فى انجيل يوحنا (ص٥، ١٧، ١٨) «أجابهم يسوع أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً أن الله أبوه معادلا نفسه بالله فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لكم لايقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ماينظر الآب يعمل لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ماهو يعمله وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء لأن

الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب من لايكرم الابن لايكرم الآب الذى أرسله (يو ٥:١٧-٢٣) وقوله له المجد عن نفسه « أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الآب الذى أرسلنى قالوا له أين هو أبوك . أجاب يسوع لستم تعرفوننى أنا ولا أبى لو عرفتموننى لعرفتم أبى أيضاً (يو ٨:١٨، ١٩) .

ولما كان يسوع واقفاً امام رئيس الكهنة وقال له استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت . وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة آتياً على سحاب السماء ، فمزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً قد جدف (مت ٢٦:٦٣-٦٥) .

وقد ختم يوحنا انجيله بقوله وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا ان يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه (يو ٢٠:٣١) .

يقولون أن تسمية الكتاب للمسيح بابن الله لاتخرج عن تسمية غيره كبنى اسرائيل (خر ٤:٢٢) والملائكة (اى ٦:١) وآدم (لو ٣:٣٧) والبشر عموماً (مل ٢:١٠) و (اش ٦٤:٨) .

الرد - لاننكر ان البشر عموماً وإسرائيل خصوصاً وكذلك الملائكة دعوا ابناء الله لأنه خلقهم واختارهم وولدهم ولادة روحية(خر ٥:١٩ و مز ١٤٨:١٤ و١بط ٢:١ ويو ٣:٥-٨ ولو ٣:٣٦) .

ولكن بنوية المسيح ليست كذلك فليس هو ابن الله لكونه مخلوقاً كالملائكة والبشر لأنه هو نفسه خالق كل شئ (يو ١-٣ وكو ١:١٣-١٧) وقد شهد له القرآن انه يخلق من الطين وينفخ فيه فيصير طيراً باذن الله .

وليس هو ابن الله باعتبار انه قريب الى الله بل هى قرابة مقطوعة النظير

قديمة أزلية وقبل كل بدء كقوله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» (يو ١:١) اما قرابة البشر والمخلوقات فهى حادثة فى زمن معلوم اما المسيح فقيل عنه «انه والآب واحد» (يو ١٠:٣٠) وان الآب فيه وهو فى الآب (يو ١٤:١٠) ومن رآه فقد رأى الآب (يو ١٤:٩) وانه رسم جوهر الله (عب ١:٢) وانه معادل لله (فى٢:٦) وكل مالكآب هو له (يو ١٦:١٥) وانه احد الأقانيم الثلاثة التى عمد بها التلاميذ كامره (مت ٢٨:٢٠) وقال بطرس «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا» (اع ٢:٣٨) .

وليس المسيح ابنا لله كبنوية المؤمنين المولودين بالايمان لأن هذه الولادة الجديدة لم تكن فيهم قبل التجديد بالايمان إما المسيح فلم يأخذ طبيعته اللاهوتيه من الروح القدس كانها لم تكن فيه من قبل لأن طبيعته اللاهوتية هى طبيعة الآب والروح القدس منذ الأزل .

نعم انه دعى ابن الله بالنظر إلى ولادته من الروح القدس بدون زرع بشر كقول الملاك لمريم (لو ١:٣٥) إلا ان ولادته من الروح لم تكن سببا فى تسميته ابن الله بل مسببة عن كونه ابن الله حقيقة لأنه قبل أن يأتى إلى العالم كان ابن الله كقول الإنجيل - لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم (يو ٣:١٧) وقول بولس عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد (اتى ٣:١٦) .

بنوية المسيح ممتازة عن بنوية الآخرين لأنه دعى ابن الله الوحيد (يو ١:١٤ و ٣:١٦، ١٨ و ١يو٤:٩) .

وله ايضا سلطان أن يعطى سلطاناً للذين قبلوه أن يصيروا أولاد الله (يو ١:١٢) .

ثانياً : يوصف بالصفات الالهية

(١) يصفه الكتاب بالأزلى الأبدى

قال عنه سليمان : الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم منذ الأزل مسحت ... لما ثبت السموات كنت هناك أنا ... لما وضع البحر حده فلا تتعدى المياه تخمه لما رسم الأرض كنت عنده صانعاً (أم ٨:٢٢-٣٠) .

ان المتكلم هنا هو حكمة الله كما فى مطلع الاصحاح ولايمكن أن يقال ان الحكمة المتكلمة هنا صفة من صفات الله بل هى شخص الهى كان عند الله صانعاً ومسح منذ البدء وسواء أكان المتكلم هنا صفة أو شخصاً الهياً فان المسيح دعى حكمة الله كقول الرسول بولس فى (١كو١:٢٤) بالمسيح قوة الله وحكمة الله وقوله فى (كو٢:٣) والمسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم .

والأدلة على أزلية المسيح وأبديته كثيرة فى الكتاب المقدس كما أسلفنا القول وكما قال عن نفسه قبل ان يكون ابراهيم انا كائن (يو ٨:٥٨) مع أن المسيح ولد من نسل ابراهيم حسب الجسد ولكن المسيح قال هذا بصفته ابن الله الأزلى الذى خلق ابراهيم وسائر البشر .

يقولون ان قوله قبل أن يكون ابراهيم انا كائن معناه أن المسيح كان فى علم الله قبل أن يكون ابراهيم .

نرد عليهم بأن هذا التعليل كفر بالله لأنه اذا كان المسيح مخلوقاً وحادثاً كابراهيم فلماذا يتقدم وجود المسيح فى علم الله عن وجود ابراهيم ؟ ان القول بأن الله علم بوجود المسيح قبل أن يعلم بوجود ابراهيم ينسب الى الله تقدم العلم وتأخره فى مدد متفاوته وينسب الحدوث لله وطوارئ العلم وانه تعالى يعلم بهذا قبل أن يعلم ذاك .

وألم يكن محمد كائنا فى علم الله قبل أن يكون ابراهيم فهل قال محمد بناء على هذا التعليل قبل ان يكون ابراهيم انا كائن ؟ وهل استطاع نبى من الانبياء أن يقول مثل هذا القول غير المسيح الذى شهد السيد المسيح لنفسه فى سفر الرؤيا (ص ١٣.١٢:٢٢) قوله ها أنا آتى وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما سيكون عمله ، أنا الألف والياء البداية والنهاية الأول والآخر .

والا فكيف يجازى كل واحد كما سيكون عمله الا اذا كان أزلياً قبل خلق البشر والملائكة ليكون عارفاً بعمل كل واحد منهم ، قال بولس الرسول الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة فانه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الارض مايرى ومالايرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق ، الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل (كو ١٥:١-١٧) .

يقولون : ان العالم بأسره لايعرف للمسيح وجوداً الا بعد ولادته من مريم .

نرد عليهم - فنقول ان عدم معرفة العالم بوجود المسيح قبل ولادته من مريم لاينهض دليلاً على كذب الكتاب المقدس الذى شهد بقدمه وازليته ولايتخذ جهل الناس حجة على عدم وجود المسيح قبل تجسده كما ان عدم نظر الناس للذات الالهية لاينفى وجود الله ، وهوذا أمامنا الكهرباء التى تحل فى الاسلاك وتسطع أنوارها وتتجلى قوتها فهل يقول قائل أن هذه القوة الكهربائية قد أخذت بدء وجودها ساعة حلولها فى الأسلاك أم أنها كانت قبل سريانها وحلولها فى الأسلاك موجودة فى العالم قبل أن تصنع الأسلاك وقبل أن يولد صانع الاسلاك نفسه هكذا المسيح له المجد قبل أن يتجسد ويظهر فى الجسد المأخوذ من مريم العذراء كان لاهوته قديماً أزلياً كائناً قبل كل شئ ، وهو قديم أيضاً ومحدث لكن ماهو حادث ولكن هو حادث ليس من الناحية التى هو فيها قديم ولاهو قديم من

الناحية التى هو فيها حادث فهو قديم من جهة لاهوته وحادث من جهة جسده الناسوتى الذى أخذه من مريم العذراء .

(٢) يصفه بكونه حاضراً فى كل مكان

قال المسيح عن نفسه : ليس أحد صعد إلى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء (يو ٣:١٣) وقوله لتلاميذه لأنه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم (مت ١٨:٢٠) .

وقوله لتلاميذه وها أنا معكم كل الأيام حتى انقضاء الدهر (مت ٢٨:٢٠) ، وقول بولس الرسول : نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم (فل عد ٢٥ و غل ٦:١٨) ليحل المسيح بالايمان فى قلوبكم (أف ٣:١٧) .

من هذه النصوص الكتابية الصريحة يتضح أن المسيح وهو على الأرض يخبر الناس عن الله الآب وفى نفس الوقت كائن فى حضن الآب فى السماء وبعد صعوده إلى السماء يحضر مع تلاميذه مع جميع المؤمنين فى كل زمان ومكان سواء أكانوا أمام الملوك والولاة يحاكمون أم فى المجتمعات الروحية يمارسون أعمالا خاصة باسمه ومتعلقة بتدبير أمور شعبه أو عند وضع التعاليم بل ويحل فى قلوبهم بالايمان ويكون مع أرواحهم أينما كانوا .

فهل يمكن لانسان أو ملاك أن يكون حاضراً فى كل مكان فى آن واحد كما هو الحال مع المسيح ؟ ان هذا لايكون إلا لله وحده القائل بلسان أرمياء النبى أما أملأ أنا السموات والأرض يقول الرب (ار ٢٣:٢٤) .

ولما كان المسيح حاضراً فى كل مكان لذلك ترى المسيحيين يعبدونه ويعتمدون عليه لأنه قريب من كل الذين يدعونه هو فى السموات يمنحنا بركاتها وعلى الأرض يضبط حركاتها وفى الأرواح والقلوب ليحفظها فى قداسة الحق .

(٣) يصفه بالقوة والقدرة على كل شئ

قال بولس - اذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح (اكو ٥:٤) ويقول بطرس الرسول - اذ عرفنا كم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئة بل قد كنا معاينين عظمته (٢بط ١:١٦) ويقول بولس ايضا «عند استعلان الرب يسوع مع ملائكة قوته .. ومن مجد قوته» (٢تس ١:٧،٨) ويقول بولس عنه «وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته» (عب ١:٣) .

وقال يسوع عن نفسه لصاحب الرؤيا «أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ» (رؤ ١-٨) .

(٤) يصفه بأنه عالم بكل شئ

قال السيد المسيح عن نفسه - ليس أحد يعرف الآب الا الابن (مت ١١:٢٧) وقال ليوحنا صاحب الرؤيا - فتعرف جميع الكنائس إنى أنا فاحص الكلى والقلوب وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله (رؤ ٢:٢٣) .

وقال عنه يوحنا لأنه كان يعرف الجميع ولأنه لم يكن محتاجا أن يشهد أحد عن الانسان لأنه علم ماكان فى الانسان (يو ٢:٢٤، ٢٥) .

وقال له بطرس : يارب أنت تعلم كل شئ (يو ٢١:١٧) .

وكشف للسامرية ماخفى على الناس من أمرها إذ قال لها كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك ، الأمر الذى جعل المرأة تصبح مندهشة «ياسيد أرى أنك نبى وراحت تقول لأهل بلدها تعالوا انظروا انسانا قال لى كل مافعلت ألعل هذا هو المسيح» (يو ٤:١٨-٢٩) .

ولما كان فى بيت سمعان الفريسى علم أفكاره وأجابه عليها مما أخجله (لو ٧:٣٦-٥٠) ، ولما تذمر الكتبة فى أنفسهم قائلين هذا يجدف ، فعلم يسوع

أفكارهم وقال لهم لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم (مت ٩ : ٤) .

ولما فكر تلاميذه أنهم لم يأخذوا خبزاً للطريق علم أفكارهم وقال لهم لماذا تفكرون فى أنفسكم ياقليلى الايمان (مت ١٦ : ٨) .

يقولون : لقد كان الانبياء يعرفون مافى أفكار بعض الناس ومايصير منهم كما علم اليشع بما عمل تلميذه جيحزى (٢مل ٥ : ٢٦) .

الـرد

نقول أن هذه المعرفة لم تكن ذاتية فيهم بل كانت بإلهام الروح القدس ولم تكن مستمرة فيهم فى الأوقات العادية كما يتضح من أمر صموئيل النبى لما ذهب لبيت يسى ليمسح أحد أولاده ملكاً فلم يعرف من ذاته الذى أختاره الرب ملكاً حتى أنه لما رأى أليآب الابن الأكبر ظنه المختار فقال له الرب لاتنظر إلى منظره وطوله وظل يسى يعرض جميع أولاده على صموئيل حتى دل الله صموئيل على داود الأصغر (١صم ١ - ١٢) وكذلك لما ذهبت أم الغلام المائت الى اليشع النبى لكى يقيمه لها سألها - أسلام للولد ؟ وكان الولد ميتاً مما اضطر النبى أن يعترف قائلا - الرب كتم الأمر عنى ولم يخبرنى (٢مل ٤ : ٢٦ ، ٢٨) .

أما معرفة المسيح وعلمه فكان شخصياً ذاتياً وليس مستمداً من غيره ، كان علماً ومعرفة مستمرة وليس كباقى الأنبياء .

(٥) يصفه بالقداسة والخلو من الشر

دعاه الملاك عندما بشر أمه مريم قائلا القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١ : ٣٥) كما دعا ذاته قائلا ليوحنا انه «القدوس الحى» (رؤ ٣ : ٧) وقال عنه بولس الرسول لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولادنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات (عب ٧ : ٢٦) ويطرس الرسول

يقول عنه : فان المسيح ايضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا البار من أجل الأثمة (١ بط ١٨:٣) ويوحنا الرسول يقول عنه يسوع المسيح البار (١يو ١:٢) وقال المسيح عن نفسه - أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف (يو ١١:١٠) .

ووقف المسيح مرة وسط الحاقدين عليه والحاسدين له وقال لهم : من منكم يبكتنى على خطية (يو ٤٦:٨) وقال بولس عنه : الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب (عب ٢٧:٧) وقال عنه بطرس الرسول : الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر (١بط ٢٢:٢) وقال يوحنا : أنه أظهر لكى يرفع خطايانا وليس فيه خطية (١يو ٥:٣) .

والبار والقدوس من أسماء الله الحسنى ، والخلو من الشر لايكون الا فى الله وحده لأن الكتاب المقدس لم يشهد لأحد من البشر قاطبة بخلوه من الخطية أو القداسة الكاملة بل حكم على جميع البشر أنهم خطاة بلا استثناء كقول داود النبى : «الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله الكل قد زاغوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا أحد» (مز ١:١٤-٣) وقال ايضا هانذا بالاثم صورت وبالخطية حبلت بى أمى (مز ٥:٥١)

فهوذا رجال العهد القديم كابراهيم الخليل قد كذب مرتين إذ قال عن امرأته أنها أخته (تك ص٢٠) (أنظر حديث البخارى جزء ٢ ص١٥٥) وكذا هارون وموسى وداود وسليمان فقد ذكر لهم الكتاب المقدس والقرآن خطاياهم (أنظر سورة ص) ومحمد الذى يتخذه المسلمون مثلهم الأعلى وأفضل المرسلين ذكر عنه فى القرآن قوله. ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك (سورة ألم نشرح) وقوله : واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (سورة محمد)

وقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر (الفتح) وجاء فى حديث البخارى أن محمداً كان يستغفر ربه ويتوب اليه فى اليوم سبعين مرة.

فالقداسة والبر عنصر مفقود من الطبيعة البشرية بسبب خطية آدم أب البشر فإذا ماسمى الآن المؤمنون قديسين فما ذلك الا لأنهم تقدسوا بدم المسيح كقول بولس : الى كنيسة الله التى فى كورنثوس المقدسين فى المسيح يسوع (١كو ١:٢) وقوله : فإذا كما بخطية واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة لأنه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً .

(ثالثاً) المسيح يتكلم كاله

لم يتكلم المسيح كواحد من الأنبياء أو الرسل بل كان يتكلم كواضع الناموس ومعطى الشريعة كمن له سلطان وليس كالكتبة (مت ٢٩:٧) فقد قال لتلاميذه : قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم .

وأما أنا فاقول لكم من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم .

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن وأما أنا فاقول لكم من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، أما أنا فاقول لكم ان من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ، سمعتم أنه قيل للقدماء لاتحنث بل أوف للرب اقسامك ، وأما أنا فاقول لكم لاتحلفوا البتة .. الخ سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا فاقول لكم لاتقاوموا الشر .. الخ سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، أما أنا فاقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم .. الخ (مت ٥:٢١-٤٤) ان مجرد انسان لايجرؤ على أن يقرر

مثل هذا القول الا اذا كان هو الله نفسه واضع الناموس .

واكثر من ذلك فان المسيح كان ينسب الأقوال والوصايا الى ذاته فقد كان يقول ، فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل الخ (مت ٢٤:٧).

وقال أيضاً : لماذا تدعوننى يارب يارب وأنتم لاتفعلون ما أقوله (لو ٤٦:٦) ، وقال : من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية (يو ٢٤:٥) ، وقال أيضاً الحق أقول لكم ان كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد (يو ٥١:٨) وقوله : ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى (يو ١٤: ١٥) وبولس الرسول ينسب الناموس الى المسيح قائلاً لأهل غلاطية : وهكذا تمموا ناموس المسيح (غل ٢:٦) ويعتبر بولس الرسول نفسه انه تحت ناموس المسيح (اكو٩: ٢١) ونسب الانجيل للمسيح فقال : لست استحى بانجيل المسيح (رو ١: ١٦) انجيل مجد المسيح (٢كو٤:٤) .

مع أن جميع الأنبياء السابقين لم ينسبوا الكلام لأنفسهم بل للرب فأشعياء النبى العظيم كان يقول : وقال لى الرب (اش ٨: ١ ، ٣، ٥و٨:٤) وكذلك ارميا وحزقيال ويوشع وموسى المشرع العظيم كان يقول هكذا قال الله لموسى أو كلم الله موسى (خر ١٩:٤ و٦: ١، ٢، ١٠) .

وهكذا أنبياء العهد الجديد قال أغابوس هكذا يقول الروح القدس (اع ٢١: ١١) والرسل يصرحون بأن وصيتهم هى وصية الرب والمخلص (٢بط ٣: ٢) ، ويوحنا الرسول يقول وبهذا نعرف أننا عرفناه ان حفظنا وصاياه (١يو ٢: ٣، ٤) وبولس الرسول يقول واعرفكم أيها الأخوة الانجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان لانى لم اقبله من عند انسان ولاعلمته بل باعلان يسوع المسيح (غل ١: ١٢) ويقول أيضاً يوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح ان

تتجنبوا كل أخ يسلك بلاترتيب (٢تس ٣:٦) .

ومحمد الذى يقول عنه المسلمون أنه أفضل الأنبياء وسيد المرسلين كان أسلوب القرآن الذى جاء به هكذا : (قل أرأيتم ما أنزل الله) (يونس) قل اطيعوا الله والرسول (آل عمران) قل أنزله الذى يعلم السر (فرقان) قل ان الهدى هدى الله (آل عمران) قل انما اتبع مايوحى إلى من ربى (الاعراف) .

فمن كل هذا الاستعراض ترى ان المسيح وحده الذى انفرد بنسبة الوصايا إلى نفسه كما أوردنا أقواله الكثيرة وجاهر بانه المعطى الوصايا وصاحب الارادة فيها فلقد قال يا أورشليم يا أورشليم ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة اردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا (لو ١٣:٣٤) ويقال هكذا أقول لكم (لو ١٥:١٠) .

وبما أن الوصايا من الله كما يقول نحميا فى خطابه مع الله تعالى ونزلت على جبل سينا وكلمتهم من السماء وأعطيتهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة فرائض ووصايا صالحة (نح ١٣:٩،١٤) وداود النبى يقول ناموس الرب كامل .. وصايا الرب مستقيمة (مز ١٩:٧،٨) وموسى يقول لكى تحفظوا وصايا الرب الهكم التى أنا أوصيكم بها (تث ٤:١) .

(رابعاً) المسيح يعمل جميع أعمال الله

(١) قوة الخلق

فقد قال عنه يوحنا الانجيلى : كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان .. كان فى العالم وكون العالم به والعالم لم يعرفه (يو ١:٣،١٠) .

ويقول عنه بولس الرسول : فانه فيه خلق الكل مافى السموات وعلى الارض (كو١:١٦) وقوله : ان الله كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً

لكل شئ الذى به عمل العالمين (عب ١:٢) .

والقرآن قد شهد للمسيح بقوة الخلق ومنح نسمة الحياة كما جاء فى (سورة آل عمران) قوله انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .

وقد اجمعت الاديان على ان الله قد تفرد بالخلق .

والقرآن يتحدى عباد الأصنام قائلا : (هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه (سورة لقمان) وقوله أيضاً (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقة فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار) (سورة الرعد) .

وإذا كانت صفة الخلق وعمل الخلق مما ينفرد الله به وحده تعالى ولايمكن أن يشاركه فيه آخر لانه الخالق وحده .

وإذا كان يسوع المسيح يخلق من الطين طيراً فمن يكون المسيح هذا؟ هل هو اله آخر فوضه الله الخلق نظيره تعالى ؟ وهذا هو الشرك بعينه .

أم هو مجرد انسان ؟ وكيف يكون المخلوق خالقاً والمصنوع صانعاً ! وكيف يتنازل الله عما تفرد به لانسان فيجعله خالقاً ! ولماذا لم يسمح الله لغير المسيح أن يخلق ويكون خالقاً مثله واذا كان يجوز فى نظر المسلمين ان يكون الانسان خالقاً مع الله اما كان من باب اولى ان يكون هذا الامتياز لمحمد الذى يقولون عنه انه سيد المرسلين وحبيب الله .

(٢) ينسب له قوة حفظ جميع الأشياء فقد قال بولس الرسول عنه الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل (كو ١٧:١) وانه حامل كل الاشياء بكلمة قدرته (عب ٢:١) وانه الممسك الكواكب بيمينه (رؤ ٢:٢).

وقال المسيح نفسه مخاطباً أبيه السماوى ليلة آلامه عن تلاميذه : حين كنت

معهم كنت أحفظهم فى اسمك الذين اعطيتنى حفظتهم (يو ١٧:١٢) وبولس الرسول يقول : وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع (فى ٤:٧) .

ويقول بولس عنه : انه قادر ان يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم (٢تى ١:١٢) فهل تجاسر نبى أو قديس أو رسول أن يدعى لنفسه القدرة على حفظ الأرواح والأجساد والعقول والأفكار والأشياء جميعاً وها داود النبى العظيم يقول : احفظنى يا الله لانى عليك توكلت (مز ١:١٦) ومحمد الذى يقول عنه المسلمون أنه أفضل الأنبياء وسيد المرسلين كما ورد عنه فى حديث البخارى الجزء الرابع ص ١٢ عن عائشة قالت كان رسول الله صلعم اذا آوى الى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعاً ثم يمسح بهما وجهه ومابلغت يداه من جسده قالت عائشة فلما اشتكى كان يامرنى ان أفعل ذلك به . قال يونس كنت أرى ابن شهاب يصنع ذلك اذا آوى الى فراشه ، وهاك نص المعوذتين اللتين كان يتعوذ بهما محمد قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد .

قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

فمحمد يتعوذ كل ليلة فى فراشة من كل ماذكر وإذا اشتكى يطلب من عائشة أن تعيذه وتمسحه بيديها من شر الغاسق والواقب والنافث فى العقد والوسواس والخناس والحاسد من الجنة والناس .

أما المسيح وحده وسط الأنبياء والمرسلين يعترف له الكتاب بانه الحفيظ والحفيظ من أسماء الله الحسنى اذ لايستطيع مخلوق أن يحفظ جميع الخلائق لعدم قدرته على الاحاطة بكل شئ ولاتمتد عنايته بدائرة الكون ولايكون هذا

للمسيح الا إذا كان هو الله القديم الازلي .

(٣) صانع العجائب والمعجزات

١- وهب النظر للعميان مت ص٩ ومر ١٠ ويو ٩ . ٢- شفاء الصم والخرس (مر ٧ومت١٢) ٣- شفاء الشل والعرج (مر ص٢و١٢ ولو ١٣ ويو٥ ومت٨) ٤- شفاء البرص (مت٨ ولو ١٧) ٥- شفاء نازفة الدم (مت ص٩) ٦- شفاء المصابين بالحمى (مت ص٨ ويو٤) ٧- شفاء المستسقى (لو ص١٤) ٨- اخراج الشياطين (مت ٨ ، ٩ ، ١٥ ، ١٧) ٩- اقامة الموتى وأحياء الرميم (مت ص٩ ولو ١٧ ويو١١) ١٠- لصق الأذن المقطوعة (لو ص٢٢) ١١- تحويل الماء إلى خمر (يو ص٢) ١٢- معجزة صيد السمك الكثير (لو ص٥) ١٣- اشباع الألوف بخمس خبزات ومرة بسبع خبزات (مت ص ١٤ ، ١٥) ١٤- مشيه على البحر واعطاء القوة لبطرس ليمشى أيضاً (مت ص ٨) ١٥- تسكين العواصف وتهدئة البحر (مت ص٨) ١٦- معجزة وصول السفينة بغتة (يو ص ٦) ١٧- أمره لبطرس أن يلقى سنارة فيجد سمكة فى فمها درهمان يدفعهما للجزية (مت ص١٧) ١٨- معجزة تيبس الشجرة بكلمة (مت ٢٢) ١٩- قيامته من الأموات كما تنبأ (لو ص ٢٤) ٢٠- دخوله على التلاميذ والأبواب مغلقة (يو ٢٠) وقد شهد القرآن بكل هذه المعجزات .

كما جاء فى سورة آل عمران قوله : انى قد جئتكم بأية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرئ الاكمة والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين (وفى سورة المائدة) قد ذكر ذلك أيضا .

فماذا تدل هذه المعجزات الكثيرة التى لاتعد ولاتحصى تلك التى لم يأت بواحدة منها أعظم الأنبياء ولا الأنبياء فى مجموعهم ؟ الا تدل على قوة فائقة

تتسلط على عناصر الطبيعة وأرواح الشياطين وأرواح البشر وأجسادهم وعقولهم ؟

يقولون ان هناك أنبياء صنعوا معجزات كموسى وايليا واليشع ولم تكن معجزاتهم دليلاً على الوهيتهم لأنهم صنعوها بقدرة الله تعالى.

نرد عليهم : بأن هناك أشخاصاً من البشر قد صنعوا معجزات ولكن لم يصنعوها بقوتهم الشخصية بل صنعوها بقوة الله بواسطة الصلاة والتضرع اليه تعالى لكى يعمل هذه المعجزات .

فموسى صنع آيات بأمر الله كما ورد فى سفر الخروج قوله : فقال له الرب ماهذه فى يدك فقال عصا فقال اطرحها الى الارض فطرحها الى الارض فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وامسك بها فصارت عصا فى يده . ثم قال له تعالى عند ما تذهب لترجع الى مصر أنظر جميع العجائب التى جعلتها فى يدك واصنعها ، قدام فرعون فدخل موسى وهرون الى فرعون وفعلا هكذا كما أمرهما الرب (خر ص٤ . ٧) .

وايليا النبى لما أقام ابن الارملة من الأموات لم يقمه بقوته الشخصية بل كما يقول الكتاب : وصرخ الى الرب ياربى الهى لترجع نفس هذا الولد الى جوفه فسمع الرب لصوت ايليا فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش (١مل ١٧: ١٩-٢٢).

وكذلك عندما منع ايليا المطر قال فى صلاته : وانى أنها عبدك وبأمرك قد فعلت هذه الأمور (١مل ١٨: ٣٦) .

واليشع النبى لم يقم الصبى بقوته بل دخل واغلق الباب على نفسه وعلى الصبى وصلى إلى الرب (٣مل ص٤) .

وأما الذين صنعوا الآيات والعجائب فى العهد الجديد فقد صنعوها بسلطان المسيح وباسمه كما قال الرسل : فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك فقال لهم ها أنا اعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوات العدو ولايضركم شئ (لو ١٠:١٧-١٩) وقول السيد المسيح أيضا لتلاميذه : وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتاً لايضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون (مر ١٦:١٧، ١٨) . وقد اعترف الرسل بأنهم صنعوا المعجزات بقوة الرب يسوع وباسمه كما جاء فى (اعمال الرسل ص ٣:١٢-١٦) عندما جعلوا المقعد يمشى قائلين : «مابالكم تتعجبون من هذا وتشخصون الينا كأننا بقوتنا أو بتقوانا قد جعلنا هذا يمشى ، ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع .. وبالايمان باسمه شدد اسمه هذا الذى تنظرونه وتعرفونه وبالايمان الذى بواسطته اعطاه هذه الصحة أمام جميعكم» . وذلك لأن بطرس لانظر إلى هذا المقعد قال له باسم يسوع الناصرى قم وامش .. فوثب ووقف وصار يتمشى (أع ٣:٦-٨) ولما كان بطرس فى لدة فوجد هناك انساناً اسمه اينياس مضطجعاً على سرير منذ ثمانى سنين كان مفلوجاً فقال له بطرس يا اينياس يشفيك يسوع المسيح قم وافرش لنفسك فقام للوقت (اع ٩:٣٢، ٣٤) .

هذا مافعله الأنبياء والرسل من المعجزات وهذه هى الكيفية التى بها صنعوها أما الآيات والمعجزات التى صنعها الرب يسوع فقد عملها بقوته الشخصية وارادته المطلقة بدون صلوات أو تضرعات .

وقد اعترف المرضى واقروا بسلطانه المطلق على شفاء أمراضهم فقد قال الابرص للمسيح : «ان اردت تقدر ان تطهرنى قال له يسوع : أريد فاطهر» (مت

٣.٢:٨) وقائد المئة قال للمسيح قل كلمة فيبرأ غلامي قال له يسوع أذهب وكما أمنت فيكون لك فبرئ غلامه فى تلك الساعة (مت ٨:٥-١٣).

فلو كان المسيح مجرد انسان وكواحد من الأنبياء لكان واجبه من نحو الامانة له يقتضى ان يقول للابرص مصححاً له اعتقاده لاتقل «أن اردت تقدر» بل قل اذا أراد لك الله تقدر أن تطهرنى ولكن المسيح شجع الابرص على اعتقاده فى ارادة المسيح المطلقة وقدرته الذاتية على كل شئ متى شاء اذ قال له «أريد فاطهر» وكان واجب الامانة أيضا يقضى عليه أن يقول لقائد المئة ان الأمر لله وحده إذا قال الشئ كن فيكون فليست الكلمة كلمتى ولا القول قولى ولكنه ساعد قائد المئة على المضى فى اعتقاده بقوة المسيح وكلمته وثبته على الايمان به شخصياً إذ قال له «اذهب وكما أمنت فيكون لك» . وقد أكد السيد المسيح سلطانه المطلق ومشيئته الغير المحدودة عندما قال : كما ان الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك الابن يحيى من يشاء (يو ٥:٢١) .

ومن هنا يتضح ان للمسيح قدرة فى ذاته على احياء الموتى حسب مشيئته ومجرد ارادته الأمر الذى يدل صريحاً على مساواته للآب فى العمل ، كما قال يوحنا : فأجابهم يسوع ابى يعمل حتى الآن وأنا أعمل فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون اكثر ان يقتلوه لانه لم ينقض السبت فقط بل قال ان الله أبوه معادلاً نفسه بالله (ص٥:١٧ ، ١٨) وقوله : مهما عمل ذلك فهذا يعمله الابن كذلك.

فمن من الانبياء مهما كان مقامه ومركزه استطاع أن يقول مهما عمل الله من عمل فهذا أصنعه أنا أما المسيح فقد قال مهما عمل الآب فهذا أعمله أنا بدون أى تحفظ فيه للآب بالتفرد بعمل بل قال بالاطلاق ان مهما عمل الآب فهذا يعمله الابن متى شاء ومتى أراد ، مع ان رسل ربنا يسوع المسيح علموا بوجوب

تقديم إرادة الله فى كل عمل فيقولون «ان شاء الرب» أما يسوع فيقول «الابن يحيى من يشاء» ويقول للابرص «أريد فاطهر» ولايقول «يريد الله فاطهر» فما معنى هذا ياترى ؟ هل كان المسيح مجرد انسان وسالباً لحقوق الله مغتصباً للصفات الالهية أم هو الله عينه ظهر فى الجسد .

(٤) يعطى سلطاناً لتلاميذه أن يصنعوا المعجزات - لم يعمل المسيح المعجزات فقط بل أعطى تلاميذه أيضا وغيرهم من المؤمنين به فى كل زمان ومكان سلطانا على عملها باسمه كما جاء فى الانجيل قوله : ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف .. وأوصاهم قائلا .. اشفوا مرضى طهروا برصاً أقيموا موتى أخرجوا شياطين (مت ١:١٠-٩) فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك ، فقال لهم رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولايضركم شئ (لو ١٠:١٧-١٩)

ثم ان الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ، وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالايات التابعة (مر ١٦:١٧-٢٠) وتلى الرسل قائلين : وامنح عبيدك ان يتكلموا بكل مجاهرة بمد يدك للشفاء ولتجر ايات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع (اع ٤:٢٩-٣٠) .

فمن من الأنبياء أو الرسل أمكنه أو بالحرى تجاسر فقال انه يعطى سلطانا لغيره على صنع المعجزات ، فهوذا اليشع النبى أعطى عكازه لجيحزى تلميذه ليضعه على الصبى الميت فعاد بالفشل والميت لم يقم (٢مل ٤:٣١-٣٥) ومن هذا نفهم أن اليشع النبى بصفته إنساناً لم يستطع أن يعطى سلطانا ولاقوة لتلميذه على صنع معجزة .

ربما تقول لان جيجزى كان شريراً وقلبه كان محباً للمال كقول الكتاب فنقول له وقد كان يهوذا الاسخريوطى محباً للمال وسارقاً للصندوق ولكنه صنع المعجزات مع بقية الرسل عندما أرسلهم يسوع (مت ١٠:١-٤) وذلك لأن البشر لايملكون ضراً ولانفعاً ولايستطيعون أن يمنحوا غيرهم قوة لأنهم فارغون والفارغ لايملأ فارغاً وإذا أعطى ما فى فراغه من القليل الذى فيه أصبح القليل فيه عدماً .

والقرآن شهد بهذه الحقيقة فقد جاء فى (سورة الجن) قوله لمحمد قل انى لا أملك لكم ضراً ولارشداً ، وقوله فى سورة الأعراف ، قل انى لايجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً .. قل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضراً ، (وفى سورة يونس) يقول : قل لا أملك لنفسى ضراً ولانفعاً .

أما المسيح له المجد فقد قال عنه يوحنا المعمدان «واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه .. ومن ملئه نحن جميعا أخذنا ونعمة فوق نعمة لان الناموس بموسى أعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا» (يو ١٢:١-١٧) .

يقولون : ان ماورد فى الانجيل قوله «الحق الحق أقول لكم لايقدر الابن ان يعمل من نفسه شيئاً الا ماينظر الآب يعمل لأن مهما عمل ذاك فهذا يصنعه الابن كذلك» (يو ١٩:٥) دليل على عدم قدرة المسيح الذاتية فى عمل المعجزات .

نرد : ان مدلول الآية ومنطوقها لايدل على عجز المسيح وتقييده بل بالعكس فانها تبين اتحاده مع الآب فى العمل وعدم انفصاله عنه فانه لايعمل هذه المعجزات مستقلا بنفسه ، وكان الداعى لقوله هذا اعتراض اليهود عليه عندما شفى مريضا يوم السبت قائلين انه نقض السبت فبين لهم ان اباه يعمل حتى الآن أى فى السبت وغير السبت أيضا وان ماعمله هو يوم السبت من شفاء

المرضى لايمكن ان يعمله مستقلا عن أبيه أو منفصلاً عنه بل ان ماعمله هو عين عمل الاب لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك . ولو رفع اخواننا المسلمون العصابة عن عيونهم وتأملوا الآية جيداً لما استخرجوا من جوفها مايغشرهم بل يسطع منها نور وهاج يشع من حقيقة لاهوت المسيح لأن الآية تبين بكل جلاء مساواة الابن بالآب في سائر الأعمال ولا ادل على هذا من الآية التالية لانه كما أن الاب يقيم الاموات ويحيى كذلك الابن يحيى من يشاء (يو ٥ع٢١) .

وإذا سألنا القرآن من هو الذى يحيى من يشاء ويفعل مايريد لأجابنا بما فى (سورة هود) . الا ماشاء ربك ان ربك فعال كما يريد وفى (سورة آل عمران) قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء .

فيسوع كما ورد عنه فى الانجيل نراه يحيى من يشاء ويمنح لمن يشاء من المؤمنين ان يشفوا باسمه المرضى ويفعلوا المعجزات . والا فقولوا لى هل يكن ان تؤمن باسم مخلوق مهما كان فيجعلنا الايمان به قادرين على صنع العجائب والمعجزات كما يقدرنا الايمان باسم المسيح .

(٥) المسيح صانع معجزات روحية - فلم تكن معجزاته قاصرة على الاعمال الظاهرة فقط بل والروحية أيضا

١- كاحياء الأرواح المائتة بالخطية كما قال هو نفسه : من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولاياتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون لأنه كما ان للآب حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته (يو ص ٥) وقوله اعملوا لا للطعام البائد بل

للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان ... لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم .. فقال لهم يسوع انا هو خبز الحياة (يو ٦: ٢٧، ٣٣، ٣٥) .

بل ان القرآن ذاته يعترف للمسيح بكل صفات الله وأعماله فقد نسب الى المسيح أنه روح الله وقد فسرها الامام الرازى فقال : أنه روح الله لانه واهب الحياة للعالم فى أديانهم والامام البيضاوى يقول فى تفسيرها لأنه يحيى الأموات وقلوب البشر .

هذه تفاسير أكبر أئمة المسلمين توافق ماقاله السيد المسيح عن نفسه : انا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا (يو ١١: ٢٥) وقول بولس الرسول عنه : صار آدم الانسان الاول نفساً حية وادم الاخير روحاً محيياً (١كو ١٥: ٤٥) .

٢- قد نسب الى المسيح الخلاص - نعم وجد مخلصون كثيرون خلصوا العالم من ورطات وضيقات وانقذوا البلاد من مصائب متنوعة الا ان من بين هؤلاء جميعهم لم يوجد من يقول عن نفسه أو قال الناس عنه أنه يخلص الناس من خطاياهم وذلك لأن الناس جميعاً واقعون تحت سيطرة الخطية كما أسلفنا القول : إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله وأحرى بالخاطئ أن يخلص نفسه من الخطية عوضاً عن أن يخلص غيره منها والمغلوب من شخص لايقدر على انقاذ غيره من يده .

أما المسيح له المجد فقد نسب اليه خلاص النفوس من الخطايا وكانت هذه مقدمة البشرى ليوسف عند حبل مريم العذراء بالمسيح يسوع المسيح إذ قال فتلد ابنا وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ١: ٢١) ويقول بطرس الرسول عنه : وليس بأحد غيره الخلاص لان ليس اسم آخر تحت

السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص» (أع ٤: ١٢) .

٣- وأن المسيح غافر الخطايا - قال السيد المسيح عن نفسه : ولكن لكى تعلموا بأن لابن الانسان سلطاناً على الأرض ان يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم احمل فراشك واذهب فقام ومضى الى بيته (مت ٩: ٦، ٧) وقال للمرأة الخاطئة : مغفورة لك خطاياك (لو ٧: ٤٨) وقوله : فاجابهم يسوع الحق الحق اقول لكم ان كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية .. فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً (يو ٨: ٣٤، ٣٦) وقال بطرس الرسول عنه : هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطى اسرائيل التوبة وغفران الخطايا (أع ٥: ٣١) .

واذا كان جميع البشر وعلى رأسهم الانبياء يستغفرون ربهم ، واذا كان المسيح لم يستغفر مرة بل غفر للناس خطاياهم فهل يكون مجرد انسان وليس هو الله ظهر فى الجسد .

٤- المسيح يقدس الناس - فقد قال عنه بولس الرسول : لذلك يسوع ايضاً لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب (عب ١٣: ١٢) وقوله ايضا : كما أحب المسيح ايضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها لكى يقدسها مطهراً أياها (أف ٥: ٢٥) .

وهذا عمل الله وحده لاسواه كما قال الله لبنى اسرائيل : أنا الرب مقدسكم (لا ٣٠: ٨) إذن المسيح هو الله .

٥- أنه يعطى بصيرة للناس لمعرفة الحق كقول يوحنا الرسول : ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح هذا هو الاله الحق والحياة (١يو ٥: ٢٠) فلم يمنح الاعمى المولود من بطن أمه عينين جسديتين فقط ليبصر بهما العالم الطبيعى بل أيضا أعطاه بصيرة

روحية لمعرفة الحق . والقرآن يشهد ان الذى يمنح البصائر هو الله وحده كقوله : قد جاءكم بصائر من ربكم (الانعام والاعراف) .

٦- قيل عنه أنه أبطل الموت وأنار الحياة والخلود (٢تى ١: ٢٠) عملان خطيران فوق مقدور البشر وتعجز عن احداثهما طبيعتهم البشرية لان من يستطيع أن يبطل الموت وقوته والجميع قد خضعوا له لافرق بين ملك ونبى وما استطاعوا ان يتقنوا أنفسهم من سلطانه . أما يسوع فقد أبطل سلطان الموت عندما أنقذ نفسه بنفسه من فم الموت وقام فى اليوم الثالث منتصراً .

يقول قائل لقد قام كثيرون من الأموات مثل ابن الأرملة ولعازر وغيرهم .

فنرد عليهم بان هؤلاء أقامهم غيرهم والذى أقامهم هو المسيح ، والذين قاموا من الأموات لم ينجوا من الموت إذ أعاد الكرة عليهم فابتلعهم ثانية أما المسيح فاقام نفسه من الموت وصعد إلى السماء حياً وجلس عن يمين الآب . نعم اختطف أخنوخ وايليا أحياء ، ولم يموتا ولكن الموت لايزال فاتحاً فاه ينتظر عودتهما إلى الأرض لتأدية الشهادة فيهجم عليهما ويبتلعهما فى جوفه فيموتان ولايقومان حتى يأتى المسيح بمجده مع ملائكته ويبوق أمامه بالبوق فيقوم الموتى عندما يسمعون صوته كما أنه الوحيد الذى أنار الحياة والخلود بنور تعاليمه إذ جعل الابدية مكشوفة بعد أن كان الظلام يخيم على مستقبل الانسان فلايدرى مصيره الابدى . ففى رده على الصدوقيين بخصوص قيامة الأموات قال لهم «لأنهم فى القيامة لايزوجون ولايتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ماقيل من قبل الله القائل انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ليس اله أموات بل اله أحياء» (مت ٢٢: ٣٠، ٣١) وبولس يقول «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الاخوة من جهة الراقدين لكى لاتحزنوا كالباقين الذين لارجاء لهم لانه ان كنا نؤمن ان يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع

سيحضرهم الله أيضا معه - فاننا نقول لكم هذا بكلمة الرب اننا نحن الاحياء الباقين إلى مجئ الرب لانسبق الراقدين لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق سوف ينزل من السماء والاموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الاحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب (١تس ١٣:٤ـ١٧) اقرأ الثلاثة اصحاحات الاخيرة من سفر الرؤيا فتجد فيها تخطيطاً للمكان الابدى والمصير البشرى بكل جلاء ووضوح وما الأحاديث الاسلامية التى نقرأها فى البخارى وغيره عن الآخرة والجنة الا لمحات من ذلك النور الساطع الذى ألقاه المسيح على الحياة والخلود قبل مجئ محمد بستة قرون .

٧- قيل عنه أنه سيغير شكل جسد تواضعنا لنكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شئ (فى ٢١:٣) ومن ذا الذى يغير طبيعة الاجساد الترابية المنحطة إلى صورة مجده ؟ أليس الله وحده الذى خلق الاجساد .

٨- قيل عنه : أنه سيستعلن من السماء مع ملائكة قوته بلهيب نار معطياً نقمة للذين لايعرفون الله والذين لايطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب ومن وجه مجد قوته (٢تس ٧:١ـ٩) ويقول عنه بطرس : هذا هو المعين من الله دياناً للاحياء والاموات (أع ٤٢:١٠) ويقول بولس : الرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الاحياء والاموات عند ظهوره وملكوته (٢تى ١:٤) حتى أن محمداً الذى لم يعترف بلاهوت المسيح قد اعترف له بانه هو الديان كما جاء فى حديث البخارى جزء ٢ص٤٩ عن ابى عن رسول الله صلعم قال : لاتقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطاً ، والديان والحكم والمقسط هو الله وحده .

(خامساً) المسيح موضوع العبادة

لقد كان السيد المسيح ولايزال موضوع العبادة كما قال «لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» (يو ٥:٢٣) .

١- قبل السجود من المجوس (مت ٢:١١) وسجد له الابرص قائلا : ياسيد ان اردت تقدر ان تطهرنى (مت ٨:٢،٣) ورئيس من اليهود سجد له قائلا أن ابنتى الآن ماتت الخ (مت ٩:١٨) ولما سأل الاعمى قائلا : أتؤمنون بابن الله فقال له أؤمن ياسيد وسجد له (يو ٩:٣٥،٣٧) وام ابنى زبدى لما تقدمت اليه بطلبها سجدت له (مت ٢٠:٢٠) ولما لاقى المريمات بعد قيامته سجدتا له (مت ١٧:٢٨) والذى به الشياطين لما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له قائلا مالى ولك ياسيوع ابن العلى استحلفك بالله ان لاتعذبنى (مر ٥:٦) وكذلك الملائكة كقول الرسول ، وأيضا متى أدخل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له ملائكة الله (عب ١:٦) وفى السماء تخر وتسجد له أرواح الملائكة والقديسين ويترنمون له قائلين مستحق انت تأخذ السفر وتفك ختومه لانك ذبحت واشتريتنا بدمك من كل قبيلة وشعب وامة (رؤ ٥:٨،٩) وبولس يقول عنه : لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب المجد الله الاب (فى ٢:١٠،١١) يسوع المسيح الذى هو فى يمين الله إذ قد مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له (١بط ٣:٢٢) .

ان السجود لغير الله محرم فى شريعة موسى القائلة : للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد (تث ٥:٧) والمسيح لما انتهر الشيطان قال له هذا النص عينه (مت٤:١٠) والقرآن يقول فاسجدوا لله واعبدوا (النجم) .

وبطرس الرسول لم يقبل السجود من كرنيليوس بل اقامه قائلاً قم أنا

أيضا انسان (اع ١٠:٢٦) والملاك لم يقبل السجود من يوحنا الرسول بل قال له انظر لاتفعل أنا عبد معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع اسجد لله (رؤ ١٩:١٠) (و ص ٢٢:٨) .

فاذا كان السجود لغير الله محرماً وان الرسل والملائكة لم يقبلوه من أحد فبماذا نعلل قبول المسيح لسجود الذين سجدوا له دون ان ينهاهم ؟ ألا يدل على أنه هو الله ظهر في الجسد ؟

٢- يتقبل الصلاة - فلقد صلى التلاميذ إليه قائلين : «يارب علمنا ان نصلي» (لو ١١:١) يارب زد ايماننا (لو ١٧:٥) ووالد الولد المجنون صلى إليه قائلاً : أعن عدم ايماني (مر ٩:٢٤) واللص على الصليب صلى اليه قائلاً «اذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك» (لو٢٣:٤٢) وبعدما صعد إلى السماء صلى إليه المؤمنون ولايزالون يصلون إليه إلى هذا اليوم والى انقضاء الدهر فاستفانوس الشهيد الاول عندما كانوا يرجمونه صلى قائلاً «أيها الرب يسوع اقبل روحي . يارب لاتقم لهم هذه الخطية» (اع ٧:٥٩-٦٠) والرسل صلوا عند اختيار رسول بدلاً عن يهوذا قائلين أيها الرب العارف قلوب الجميع عين أنت من هذين الاثنين أيا اخترته (اع ١:٢٤، ٢٥) وصلى اليه بولس (٢كو١٢:٨) .

(٣) يدعو الناس أنفسهم عبيداً له - فبولس الرسول في بدء رسالته يقول بولس عبد يسوع المسيح (رو ١:١) فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله (١كو ٤:١) فلو كنت بعد أرضى الناس فلم أكن عبداً للمسيح (غل ١:١٠) بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح (في ١:١) لأنكم تخدمون الرب المسيح (كو ٣:٢٤) .

ومعلوم أن العبودية المطلقة لاتكون إلا لله وحده كما يقول داود النبي لأن الكل عبيدك (مز ١١٩:٩١) والقرآن يقول وعباد الرحمن الذين يمشون على

الأرض هوناً (الفرقان) ولايشرك بعباده ربه أحداً (الكهف) .

يقولون : أنه يوجد إلى هذا اليوم عبيد على الأرض يخدمون أسيادهم ومع ذلك لايدعى هؤلاء الاسياد آلهة .

نرد عليهم بان هؤلاء الأسياد يخدمون من عبيدهم خدمة جسدية أرضية أما المسيح فهو في السماء والذين يدعون أنفسهم عبيداً له على الأرض لايزالون يعبدونه ويخدمونه خدمات غير جسدية بل خدمات تقوم على ممارسة أمور روحية تعبدية لاتقدم الا لله وحده .

(٤) العماد باسم المسيح - ان الرسل وخدام المسيح في كل زمان ومكان عمدوا ويعمدون الناس باسم المسيح ابن الله كقول بطرس الرسول : توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا (اع ٢: ٣٨) فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (اع ١٩: ٥) وهذا حسب أمر المسيح القائل لتلاميذه فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨: ١٩) .

والعماد سر من أسرار الكنيسة المسيحية التي يتوقف عليها خلاص النفوس وغفران الخطايا لايجوز ممارستها باسم أي مخلوق وهذا تراه واضحا من أقوال بولس الرسول هل بولس صلب لأجلكم ام باسم بولس اعتمدتم (١كو ١: ١٣) فاذن كان العماد يجرى باسم الثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس الاله الواحد .

وإذا كان العماد يجرى باسم الابن يسوع المسيح كما يجرى باسم الآب والروح القدس فيكون المسيح هو الله أو هو مساو للاب والروح القدس فلو كان المسيح مجرد انسان فقط لما جاز اجراء العماد باسمه .

يقولون أن قول بولس الرسول «لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع» (عب ٣:١) وقول المسيح عن نفسه ولا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذى أرسلنى (يو ٥:٣٠) وقوله لتلاميذه كما أرسلنى الآب ارسلكم أنا (يو ٢١:٢٠) كل هذا يدل على عدم لاهوت المسيح .

الرد- نعم لاننكر ان المسيح رسول اعترافنا وقد أرسله الآب لخلاصنا كما يقول الرسول بولس «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من أمرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى» (غل ٤:٥) إلا ان هناك حقيقة يعترف بها المسلم قبل المسيحى والوثنى قبل اليهودى ان ليس كل رسول يكون دون من يرسله ولايمكن الاستدلال دائماً على أن ارسال الواحد من الآخر دليل على أن المرسل ليس من طبقته ولا من مقامه ، فهوذا جلالة ملك انجلترا وامبراطور الهند السابق ، قد أرسل من زمن ليس ببعيد ابنه وولى عهده ووارث ملكه فى مهمة الى الهند فهل يقول قائل أن ارسالية ولى عهد انجلترا قد غيرت نسبته إلى أبيه وانتزعت العلاقة الطبيعية الكائنة بين الآب وابنه أم يقال ان الارسالية أضافت الى الابن نسبة جديدة وهى رسول أبيه دون أن تؤثر على نسبة البنوية بشئ؛ واذ أثرت فالتأثير يكون مظهراً جديداً للحب والطاعة البنوية التى ظهرت فى إتمام الابن لمقاصد ابيه الأمر الذى أعلنه الآب حين صعود المسيح من مياه المعمودية فى الأردن قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت (مت ٣:١٧) .

فالشمس إذا ما أرسلت نورها وحرارتها الى الأرض فلايصبح النور دون الشمس ولا الحرارة أقل قيمة من الشمس بل بالعكس فان النور والحرارة المرسلين من قرص الشمس يعطيان الشمس مجدها وكرامتها فى نظر الناس .

وهكذا يسوع المسيح فانه بعد ارساله من الاب لايزال هو بهاء مجد الله

ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عب ١:٢) .

يقولون : ان قوله على الصليب الهى الهى (مت ٤٦:٢٧) وقوله لتلاميذه بعد قيامته أنا صاعد إلى أبى وأبيكم والهى والهكم (يو ١٧:٢٠) دليل على عدم لاهوت المسيح وعدم مساواته بالآب .

نرد : نعجب لاخواننا المسلمين فى تمسكهم بالجانب السلبى وهروبهم من الجانب الايجابى ! يتمسكون بآيات وبأجزاء تتكلم عن المسيح كانسان ويزوغون عن الآيات التى تتكلم عنه كاله . فاذا كانوا يستدلون بمثل هذه الآيات على أن المسيح مجرد انسان فلماذا لايتاملون فى الآيات الكثيرة كالتى أوردناها والتى تتكلم عنه كاله ولماذا لايتخذون هذه الآيات دليلاً على لاهوته أيضاً ؟ فيقولون معنا أن المسيح اله وانسان معاً ؟!

فلما قال الهى الهى كان ناسوته يشفع كنائب عن البشرية الخاطئة ويضرع إلى الله من أجلها ولما قال له المجد قبل ان يكون ابراهيم انا كائن (يو ٥٨:٨) كان يتكلم عن نفسه كاله كاين فى حضرة الاب منذ الازل .

اما قوله لتلاميذه أنا صاعد إلى أبى وأبيكم والهى والهكم فلايثبت مساواته بالتلاميذ ولاينفى عنه الصفة اللاهوتية لانه لو كان المسيح مثله مثل التلاميذ وانه لايمتاز عنهم فى العبودية لله والبنوية للاب لكان قد قال لهم أنا صاعد إلى أبينا والهنا اما وانه قال انا صاعد إلى أبى وأبيكم والهى والهكم فما ذلك الا لكى يميز نفسه عنهم لانه وان كان ابنا لله كما هم أبناء لله الا ان بنويته تمتاز عن بنويتهم لله كما أسلفنا القول .

أما قوله الهى والهكم فهذا بالنظر إلى ناسوته الذى أخذه من مريم العذراء .

(٣) وقول السيد لمن سأله قائلا أيها المعلم الصالح .. فقال له لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً الا واحد وهو الله (مت ١٧:١٩) فيتخذ اخواننا المسلمون هذه الآية برهاناً على عدم لاهوت المسيح .

الرد : ان المسيح أراد بذلك ان يحصر الصلاح فى الله وحده لأن اليهود ذاك الوقت كانوا قد زاغوا عن أقوال الناموس وتجاهلوا ماقاله داود النبى فى المزمور عن البشر جميعاً «فسدوا ورجسوا بأفعالهم ليس من يعمل صالحاً : الكل قد زاغوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (مز ١٤ :١، ٣) لأنه مع وجود هذا الحكم الالهى بأن الصلاح معدوم من البشر فانهم أى اليهود كانوا يدعون المعلمين الذين يعلمون الناموس بقولهم : أيها المعلم الصالح . فأراد المسيح بسؤاله : لما تدعونى صالحاً أن يلفت نظر اليهود إلى خطأهم الفاحش إذ ينسبون إلى البشر الصلاح الذى نفاه عنهم الوحى المقدس لأن ذلك السائل الذى سأل المسيح لم يكن يعتقد أن المسيح اله بل كان يعتقد انه معلم كبقية معلمى اليهود فقال له كما اعتاد أن يقول لغيره من المعلمين أيها المعلم الصالح فكان المسيح يقول له إن كنت تعتقد انى مجرد انسان فلماذا تدعونى صالحاً لأن ليس أحد صالحاً الا الله وحده .

فالمسيح هنا لم ينف عن نفسه الصلاح بل نفاه عن البشر الذين ظن السائل ان المسيح مجرد بشرى مثلهم وبالعكس فان المسيح بقوله هذا أثبت أنه الاله وحده لانه بعد أن حصر الصلاح فى الله وحده عاد فقال عن نفسه أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .. اما انا فانى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى (يو ١٠ :١١، ١٤) .

فاذا كان ليس صالحاً الا واحد وهو الله وإذا كان المسيح هو الراعى الصالح اذن يكون المسيح هو الله .

المسيح امام نور علم النفس

أولا - خلوه من الخطية

قد مر بك أيها القارئ ضمن الادلة على لاهوت المسيح معجزة حياته التى تقوم على خلوه من الخطية اذ هى معجزة المعجزات لأن الذين صنعوا الآيات والمعجزات من الأنبياء والمرسلين قد سقطوا فى خطايا مختلفة ومتعددة كبقية البشر الخطاة أما الرب يسوع فقد وقف وسط المجموعة البشرية ساطع الضياء من كل مناحى حياته لاظلمة فيها ولالطخة شر تشوه جمالها.

ولما كان علم النفس حديثه وقديمه قد أصبح ذا اعتبار عظيم فى هذه الأيام وله القول الفصل فى الاحكام شأنه فى تحليل النفسيات كشأن علم تشريح الأجسام فى الكشف عن العلل والأمراض.

رأينا أن نضع حياة المسيح الخالية من الخطية أمام نور علم النفس

(١) على ما يدل عدم الخطية فى المسيح ؟

يقول علم النفس فى تعليل خلو حياة المسيح من الخطية أنه وهو فى دور الطفولة نما فى رقة وحكمة متناهية وان قلبه الكامل وعقله السامى لم تعطله الايحاءات الضارة غير الحكيمة التى تصل عادة إلى الأطفال عن طريق الذين يحيطون بهم من الدين وأخوة ومعارف. فمعجزة خلو المسيح من الخطية جاءت عن طريق روح الله الفائض فى قلبه اذ كان يسلب من الايحاءات الرديئة كل قوتها فما كانت تستطيع ان تضر المسيح فى سنى طفولته الاولى كما تضر غيره من الأطفال.

فاذا مامجد الناس مريم العذراء وطوبوها فذلك لأن الله اختارها دون نساء العالمين لا لتلد ابن الله فحسب بل لتكون عقله وتنظم بيئته فى أدوار حياته التى

يكون فيها الطفل اكثر قابلية للتأثير .

يقول العلامة اميل كويه ان تربية الطفل تبتدئ قبل ولادته بثمانية أشهر فالأم بمجرد حبلها تعتبر مسئولة عن طفلها بما توحى الى نفسها عنه سواء أكان بنوع التخيلات أو الغذاء فاذا ما أوحت إلى نفسها صورة واضحة من الفضائل والاخلاق أو صورة عن جماله وقده ولاسيما فى زمن الوحم فانها تلد طفلها متحلياً بأكثر الصفات التى أوحت بها الى نفسها .

واذا علمنا ذلك أدركنا سر اختيار مريم العذراء لولادة الطفل يسوع ، وحلول الروح القدس عليها عند الحبل به . وذلك لأن مريم بشرية ومن ذاتها لاتقدر ان توحى أو تتصور صورة الكمال اللائق بالطفل الكامل ولذلك حل عليها الروح القدس ليقدس ايحاءاتها وتصوراتها وأقوالها وحاستها التى كانت مزمعة ان تنطبع فى شخص يسوع الكامل . ولأجل هذا اختيرت مريم بنوع خاص وممتاز عن جميع نساء العالمين كشهادة الملاك فى الانجيل والقرآن كما سبق فأوردناه .

واذا كان مثل هذا الاصطفاء لم يحدث لزم أى مخلوق آخر غير المسيح فهلا يدل هذا على أن هذا المولود ليس مجرد انسان والا فليقل لنا المتشبثون لماذا هذا الاستعداد والاصطفاء ولماذا حلول الروح القدس على أمه قبل الحبل ؟ فهل قيل عن أم ابراهيم او اسحق او يعقوب أو موسى أو داود أو أشعياء أو محمد ان الله اصطفاها على نساء العالمين وإذا كان الجواب لا . فهلا يكون المسيح ممتازاً عن كل الأنبياء والملوك وعظماء هذا العالم ؟

(٢) يدل أيضا على أن هناك قوة فائقة تضبط الدوافع الغريزية فى الانسان فلاتسمح لأية غريزة من غرائزة الأولية ان تعمل عملها خطأ بحيث أن مع هذا الضبط التام لايتعطل نشاط الغرائز انما توجه كل غريزة اتجاها صائباً

وتستخدم استخداماً صالحاً حسب ماخلقت له . ويدل أيضاً على أن قوى الغرائز التى يديرها العقل والجسم غير مشوهة . كما أن العقل يستطيع أن يضبط القوة الدافعة فلايضيع نشاط الغرائز ولايلتفت بتبذير الخطية . كما أن قوة العقل والارادة كانتا تحت سلطان يسوع وقد ظهرتا فى كل حياته .

وهل وجد انسان غير يسوع كانت قوى غرائزه ونشاطها وقوى العقل والارادة كما كانت ليسوع ؟ وانى للناس أن يكونوا كما كان يسوع والغريزة الجنسية هى كل شئ فى الانسان وتكمن تحت كل شئ ويعزى اليها كل شئ وقد انحرفت فى الانسان ولا تزال تلعب أدوار كبيرة فى السلوك الانسانى والخطية تستمد قوتها من غريزة أو أكثر من غرائزنا الأولية .

وان كانت توجد حلقات كثيرة تربط الغريزة بالعمل ومهما يكن هذا الاتصال غير مباشر فالعلاقة قائمة بين الغريزة والعمل .

ولكل انسان مخزن نشاط تحت أمرته يستخدمه بواسطة عمل الغرائز الأولية ولكل غريزة من هذه الغرائز الأولية جزء من هذا النشاط موقوف عليها كما أن لها مدداً واحتياطياً لايمكن أن يحول فى قناة أخرى غير التى وجد لها الا ان مقداراً معيناً من النشاط قابل للنقل . فالانسان يحول جزءاً كبيراً من النشاط الخاص بالغريزة الذاتية والغريزة الاجتماعية ويستعمله فى قناة الغريزة الجنسية فيعيش لاشباع شهواته . وقد يتشرب الانسان فى أطماع أنانية بعيدة عما تتطلبه الجماعة منه . وقد يبعده الاهتمام الجنسى عن الدخول فى حياته فيتحول نشاطه من الغريزة الجنسية والغريزة الاجتماعية ويجد له تعبيراً فى الغريزة الذاتية ومن هذا النوع الذين يهجرون العالم ويختفون فى الصوامع زهداً منهم فيه . وهكذا أيضا تجد كثيرين من الناس بفعل الوراثة وايحاء البيئة يحولون جزءاً عظيماً من نشاط غرائزهم الذى تحت امرتهم فى قناة واحدة

فيعيشون إما لذواتهم وإما لاشباع غريزتهم الجنسية وإما للجماعة وتصبح احدى هذه الثلاث الغرض الغالب فى حياتهم .

ولما كانت الغريزة الجنسية والغريزة الذاتية لهما من قوة المقاومة لنمو الغريزة الاجتماعية وتمتنعان عن أن تحولا جزءاً من نشاطهما اليها كان لابد للانسان الذى يخدم المجتمع كما خدمه الرب يسوع ومات لأجله أن تكون لديه قوة فوق الطبيعة تلازمه ليلاً ونهاراً بلا انقطاع تساعده على ترتيب نفسه ترتيباً صحيحاً وماذلك الا لأن الغريزة الاجتماعية ليست غالبة فينا كالغريزة الجنسية والغريزة الذاتية .

وطالما كانت الغريزة الاجتماعية مساء استعمالها يكون هذا سبباً فى نقص النمو الكامل لشخصية الانسان ، وعلاج محبة النفس يكون بتحويل جزء من نشاط غريزة النفس إلى قناة غريزة الاجتماع وهذا مايدعى محبة الآخرين ، وان كلا من غريزة النفس والغريزة الجنسية تمتنعان عن تحويل نشاطهما إلى غريزة الاجتماع فاية قوة كانت تتغلب فى المسيح على هذه القوة فتحولها الى غريزة الاجتماع فتجعل من يسوع اله المحبة على الارض حتى يبذل نفسه عن المجتمع الخاطئ الذى ابغضه وأسلمه إلى الموت على خشبة الصليب والعار وهناك أظهر فرط محبته عندما صلى لأجل الذين صلبوه وأهانوه ؟

انها لقوة فائقة الطبيعة التى وجهت نشاط الغرائز فى شخصه العجيب توجيهاً يتفق مع قصد الله فى خلاص البشر واسعادهم .

وبما أن الغرائز لازمة لحياتنا وسعادتنا فى الحياة لاسيما الغريزة الذاتية التى هى المحرض الأول على العمل لنستبقى مكانتنا فى تيار الحياة الجارف ورغبتنا فى النجاح فيها وهى رغبة شرعية ونافعة إلى حد ما للمجتمع الذى نحن أعضاء فيه لأنها تجعلنا منتجين لامجرد مستهلكين فقط . فاذا سلب من الانسان

شعوره بذاتيته فانه يصبح أقل من انسان ، واذا حرم الانسان من الطمع الشخصى فان حياته تحرم من أهم نبع وهب له بالطبيعة . فالتأثير والقيادة اللذان هما غاية الطمع البشرى انما هما من وجهة النظر المسيحى بواعث شرعية ولازمة للعمل لأن الطمع يكون رديئاً متى كان تعظيم النفس هو الباعث الذى يبعث على اجراء التأثير وعندما تصبح القيادة والقوة غرضين فى ذاتهما فهنا الخطأ المبين والشر المهين .

لذلك كان توجيه نشاط غريزة المسيح الذاتية وحسن استعمالها لم يتضمن أى قمع غير طبيعى أو ضار بالنفس بدليل انه لم يستعمل قمعاً ولاتقشفاً كيوحنا المعمدان وايليا او الذين يعذبون أجسادهم بل عن طريق علمه بأهمية الفرد عند الله وان الله عين لكل انسان دوراً يلعبه فى خدمة الجماعة يقوم به حسب قواه المعطاه له وهذا اسمى اشباع لطمع غريزة النفس .

يقول علماء النفس أن الغريزة الجنسية فى نموها الردئ شهوانية وفى حسن استعمالها تكون اكبر قوة خالقة فى حياة العالم فغريزة المسيح الجنسية امتد نشاطها إلى قنوات الغريزة الاجتماعية فاستخدمت لتعظيم مجد الله لفائدة الجنس البشرى ولما كانت الأبوة كامنة فى الغريزة الجنسية ترى السيد المسيح قد صار أباً للجنس البشرى إذ امتد عطفه الأبوى على الجميع لاسيما الضعفاء والمرضى والساقطين فعاملهم بالرقة والعطف والمحبة .

ولايمكن تحويل النشاط الجنسى فى كل الناس على هذه الطريقة إلا بقوة الله التى تلازم هذا الانسان كما يقف المحولجى دائماً عند تقاطع خطوط الترام ليحول الطريق لكل قطار يمر .

وبما أن السيد المسيح لم يفعل خطية فهذا لدليل على أن الله كان ظاهراً فى بشريته وحالا فيها حلولا جوهرياً يحول ويوجه هذه الغرائز الانسانية على

النحو الذى ظهر فى حياة الرب يسوع الغير خاطئة تلك الحياة الفريدة التى لم يحياها بشري غيره .

(٣) يدل على أنه لم يكن له شعور بالاثم الأدبى ولا أحس يوماً بثقل الخطية ولاقامت فى نفسه ذكريات مريرة ولم تكن حياته الداخلية نزاعاً بل كانت حياة الوئام الداخلى اذ كان واحداً مع الله واستطاع أن يقول «أنا والآب واحد» .

وهذا خلاف البشر على اختلاف درجاتهم وشخصياتهم فانهم يشعرون بمرارة الاثم وثقل الخطية وعذاب ذكرياتها المريرة كما أنهم يقاسون آلام النزاع الداخلى الأمر الذى يسبب لهم تعباً فى أجسامهم وعقولهم وتشويشاً فى أفكارهم وقضا لمضاجعهم .

فلقد كان داود النبى ملكا توفرت لديه أسباب النعيم والسعادة ولكنه كان يقول : تعبت فى تنهدى أعوم فى كل ليلة سريرى بدموعى أذوب فراشى .. ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيتى لأن آثامى قد طمت فوق رأسى كحمل ثقيل أثقل مما احتمل قد أنتنت قاحت حبر ضربى من جهة حماقتى لويت انحنيت الى الغاية .. قلبى خافق قوتى فارقتنى (مز ٦:٦ و ٣٨:٣-٦ و ١٠) وقد بين القرآن ما للخطية من تأثير مرير اذ قال لمحمد : ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك (انشراح) .

والشعور بالاثم الأدبى ينشأ عنه :

١- تعطيل قوى الانسان لأن الشعور بالاثم يضيع التناسق الانسانى ويفقده كل انتظام فلايستطيع الانسان معه أن يقوم بأى عمل على الوجه الكامل لأن هناك تشتت وتساؤل داخلى ونزاع مستمر يعيق قوى الانسان عن أداء مهمتها فى الحياة .

٢- يملأ صاحبه بشعور الوهن والضعف والعجز لأنه أولا يشعر بحمل ثقيل كما ذكرنا فى الفقرة السابقة ، كما يشعر أنه بعيد عن مصدر القوة الالهية لان الخطية من شأنها أن تفصل الانسان عن خالقه كقول الكتاب : «خطاياكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم» .

٣- يضيع النشاط الذى كان يمكن ان يستخدم فى موضوع آخر استخداماً نافعاً ايجابياً .

٤- يلقى على صاحبه عاراً أدبيا يحقره فى نظر نفسه تحقيراً يعجز معه عن مكافحة الاثم فى الآخرين ويقعد به عن القيام بأكبر الأعمال وأشرفها .

٥- يعطل احساسه وشعوره كمن يألف أن يشتم رائحة كريهة فيألفها ويصبح يوماً ماعديم التأثر من كل رائحة كريهة .

قد يستطيع الانسان أن يفصل عن تفكيره الشاعر ذكريات الاثم فلايعود يشعر بالاثم الادبى لأنه يعزل الذكريات عن عقله الواعى وينساها فى النهاية الا ان هؤلاء الناس اذا ما استراحوا من شبح الخطية المخيف بنسيانهم اياها فان ذكرياتها تغطس وتبقى فى العقل الباطن وتظهر بين وقت وآخر على غير انتظار على سطح العقل الواعى فتنشئ نزاعاً داخلياً يقوض أحسن قوى الانسان ويعدمه السلام الداخلى ويتم قول الكتاب «ليس سلام قال الهى للاشرار» وكل منا نحن البشر قد اختبر هذه الحقيقة فى نفسه ، فطالما شعر أحدنا بانقباض فى الصدر وحزن عميق فى النفس واضطراب مصحوب بعدم الراحة وذلك بلا أدنى سبب ظاهر بل قد نشعر بهذه الحالة ونحن محاطون بكل أسباب الراحة الخارجية فنضطر ان نسأل أنفسنا قائلين لماذا نحن منقبضو الصدر ؟ وقد سبق داود النبى وسأل نفسه هذا السؤال وسط تنعماته وعظمة ملكه : «لماذا منحنية يا نفسى» والحقيقة أن هناك سبباً قد تناساه الانسان وفصله عن عقله

الواعى إلا أنه لايزال رابضاً وراء العقل الباطن يقفز بين وقت وآخر ويسطو على العقل الواعى فيملأه خوفاً ورعباً . وهذا السبب هو خطية قد فصل ذكرها عن العقل الواعى . وما الهستريا والنورستانيا والمحاوطة والتهيج والتعب وعدم الراحة إلا آثار النزاع الداخلى فى غالب الأحيان أو وليد حادثة من الحوادث الأثيمة الماضية قد فصلها الانسان عن الذاكرة الشاعرة . ولما كان المسيح بلا خطية وبلا شعور بالاثم لذلك كان غير عاطل القوى ولا الاحساس ولافاقداً لنشاطه ولامشوش الداخل ولامضطرب النفس ولاشاعراً بوهن ولاضعف ولا أحس بعار أدبى ولا كان يوماً فى نزاع داخلى ولذلك قام بعمله الخلاصى لانقاذ البشرية من اضطراباتها وتشويشها ومنحها سلاماً ووئاماً وجعلها واحداً مع ذاته كما أنه واحد مع الله وقد ظهر خلوه من آثار الشعور بالاثم فى كل مواقف حياته فوقف مرة أمام اليهود الذين كانوا يبغضونه وتحداهم قائلاً : «من منكم يبكتنى على خطية» فصمتوا ولم ينبثوا ببنت شفة وبهذا دل على أنه لم يشعر بعار أدبى . وعند حرب الطبيعة وهيجانها نام فى السفينة وسط العواصف التى كادت تكسرها ولم تك له نوماً لأن النزاع كان فى الخارج وليس فى داخل نفسه والكتاب يقول إن الله يعطى حبيبه نوماً . وفى محاكمته أمام بيلاطس وخصومه يخترعون التهم ويلفقون له شهادات الزور كان صامتاً صمت البراءة صمت الطمأنينة ولم يجب بكلمة حتى ان الوالى تعجب ، وهو معلق على الصليب كان فى اتساقه وانتظامه وهدوئه يصلى لأجل صالبيه ويهتم بأمه فيوصى عنها يوحنا ، وينظر الى اللواتى كن يبكين عليه فيقول لهن : يابنات أورشليم لاتبكين على بل ابكين على انفسكن . وفى ليلة الامه عندما اتى الجند وعبيد رؤساء الكهنة ليقبضوا عليه كان محفوظ الاتزان فلم يهرب بل كان فى كامل قواه يقول للجند اقبضوا على واتركوا هؤلاء (اى التلاميذ) ولما انصرع الجنود من شجاعة

وسقطوا أمامه من شدة الخوف انهضهم وقال لهم خذونى واذهبوا بينما كانت الفرصة سانحة له ليهرب من امامهم وينجو بنفسه وهذا قليل من كثير من مواقف يسوع .

فماذا يدل كل هذا ياترى فى يسوع ؟ فهل هو مجرد انسان ؟

٤- يدل على أن فى شخصه قوة دائمة اليقظة لاتغفل ولاتنام ولاتؤخذ على غرة ولاتستسلم لغواية ، قوة لاتضعف فى احرج المواقف ولاتخور ولاتتقهقر امام مهاجمات الخطية ، قوة تدفع كل مهاجمة مهما كان نوعها وباعثها وتتحدى كل تجربة مهما كان مصدرها ، قوة تقابل التجربة عند بدء مهاجمتها وتبارز كل ايحاء خاطئ او مضعف عند اقترابه إلى عتبة العقل . ولاتظن ايها القارئ أن كون المسيح بلا خطية معناه أنه لم يجرب مثل البشر ، كلا فانه قد جرب مثلنا فى الغرائز الأصلية التى للانسان وهاك عينة من التجارب التى عرضت له :

١- انتهز الشيطان فرصة صومه أربعين يوماً وأربعين ليلة صوماً انقطاعياً فتقدم اليه وهو فى حال الجوع وقال : «ان كنت ابن الله فقل ان تصير هذه الحجارة خبزاً» وهذه تجربة من أخطر التجارب التى تعرض للانسان لأنها متعلقة بغريزة الغذاء وهى أحدى الغرائز الأصلية فى الانسان والتى تعتبر بقية الغرائز بالنسبة لها فرعية . وهى احدى المحركات الداخلية التى لاسلطان لعقل الانسان وارادته عليها اذ تدفع الانسان دائما لاتيان حركة قاهرة يشعر بوجوب اتمامها فكانت تجربة من أمكر وأخبث التجارب لأنها ذات حدين الحد الواحد يقتل اليقين ويحل محله الشك فى حقيقة الاعلان الالهى وقوته تعالى ومحبته . لأن الشيطان قال للسيد المسيح «ان كنت ابن الله» وفى هذا مافيه لأن السيد المسيح وهو فى المعمودية قبل التجربة بأيام قليلة انفتحت له السموات وصوت الآب نادى قائلاً «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» فمعنى هذه التجربة من

الشيطان انه يريد من السيد المسيح ان يشك فى بنويته له ويجرب إذا كان ابنا حقيقة أم لا . وهذه الخطية عينها قد عرضت على أمنا حواء وأبينا آدم عندما قال لهما الشيطان : «أحقا قال الله لكما» . والحد الآخر فيه تحريض لشهوة الجسد تلك التجربة التى لما عرضت على ادم وحواء عندما أراهما الشيطان أن الشجرة جيدة للاكل وقعا فى الحال أمام قوة هذه التجربة وأضلهما الشيطان .

أما السيد المسيح فعلم بما يكمن وراء هذه التجربة المزدوجة بأن الشيطان يريد منه أن يستعمل قوته الموقوفة على خير النفوس البشرية لسد حاجاته الخاصة كما يستعمل الناس سلطتهم ومركزهم لمنفعتهم الشخصية ومجدهم الدنيوى فقال الشيطان : «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله» .

٢- تقدم اليه الشيطان مرة أخرى ليجربه فى غريزة الاعجاب بالنفس وهى من أقوى الغرائز تأثيراً فأخذه على جناح الهيكل وقال له : «ان كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى اسفل لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته فعلى أياديهم يحملونك» .

ولكن الرب يسوع لم يجبه إلى ماطلب بل استل أيضا سيف الروح وقطع رأس التجربة الأثمة قائلا مكتوب أيضا : لاتجرب الرب الهك .

٣- ثم عاد الشيطان فجرب الرب يسوع عن طريق الغريزة الاجتماعية ليستخدمها استخداماً خاطئاً فقال له : «ان سجدت لى اعطيك جميع ممالك العالم» كأن العالم ومجده فى قبضة يده وفى قدرته أن يعطيه إياه بطريقة سهلة بسيطة وان كانت مضادة لارادة الله ومنكرة لسموه تعالى ولكن المسيح انتهره قائلا : اذهب عنى ياشيطان للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد .

ويذكر الانجيليون أيضا بعض المواقف التى كان فيها السيد المسيح فى منتهى القوة واليقظة فاذا قيلت كلمة ينقصها الايمان الحقيقى أو تكون مضعفة

فانه كان يطرح هذا الايحاء ولايلتفت اليه ففى ذات يوم جربه بطرس فى غريزة حب البقاء عندما كان يتكلم عن موته على الصليب قال له بطرس : حاشاك يارب لايكون لك هذا . فما كان من المسيح الا ان انتهره قائلا : اذهب عنى ياشيطان انت معثرة لى لانك لاتهتم بما لله لكن بما للناس .

وهاكم اسلوباً من أساليب تفكيره فى مواجهة التجارب قد ذكره يوحنا الانجيلى فى الليلة التى أسلم فيها الموت قال السيد : الآن نفسى قد اضطربت وماذا أقول أيها الاب نجنى من هذه الساعة ، ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة أيها الأب مجد اسمك (ص١٢: ٢٧، ٢٨) .

فترى فى العبارة الأولى ان المسيح عبر عن شعور الكآبة والحزن ، ولكنه عاد فقال ماذا أقول ؟ هل أقول أيها الاب نجنى كان المأمورية غير محتملة ؟ وهل انظر الى طريقة الموت كأمر لاطاقة لى على احتماله؟ وعندما أعطى جوابه الذى به ثبت عقله وارادته فى الاتجاه الحقيقى فقال : كلا انما انا لأجل هذه الساعة ولأجل هذه التضحية والالام أتيت ، اذن أقول ايها الاب مجد اسمك وبهذا رفض القلق وماسمح له ان يسود عقله بل وضع مكان القلق والاضطراب فكرة مجد الله الاب ومشيئته .

فاية قوة هذه التى تواجه التجارب والضيقات والمهاجمات الداخلية والخارجية وتبعد كل أيحاء باطل وتقضى على كل فكر فاسد طارئ قبل ان يجد ركزاً فى عقله ، وقد أخذ جميع البشر فى خطايا متنوعة وغلبوا وسقطوا فى الشك والغواية لافرق بين ملك وكاهن ونبى وقديس وهوذا محمد الذى تعتبرونه أفضل المرسلين قد قيل عنه فى القرآن : يا أيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين (الأحزاب) وقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم

لاتجد لك علينا نصيراً (الاسراء) وقوله : وان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرأون الكتاب من قبلك (يونس) وقوله : كتاب أنزل اليك فلايكن فى صدرك حرج منه لتنذر به (الاعراف) وقال الامام البيضاوى فى تفسير الآية الاخيرة : وان محمداً من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والافكار المضطربة فى قلبه من الجائزات وجاء فى حديث البخارى الجزء ٢ص١٥٨ عن أبى هريرة : أن رسول الله صلعم قال : نحن أحق بالشك من ابراهيم إذ قال ربى أرنى كيف يحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .

إذن ماذا تكون قوة يسوع التى بها رد هجمات الخطايا والتجارب وتغلب على الشك دون أن تطرحه مرة تحت رجليها كما فعلت بجميع البشر على السواء لافرق بين نبى أو كاهن أو رسول أو قديس ؟!

ثانياً : خلوه من بذل مجهود أو كفاح ، نعم أنه تألم وان ظروفاً خارجية أحاطت بحياته الارضية فاحتملها بفطنة واستخدم فيها قوة إرادته العظيمة استخداما واعيا ، نعم كانت له مجهودات مستمرة ضد الشر السائد فى العالم ولكن مع ذلك كان الاختبار العادى لعقل يسوع ونفسه اختباراً بغير مجهود أو كفاح بمعنى أنه لم يقلق أو يضج أو يتضجر بل كان دائماً غير منزعج يمثل عظمة اليقين التام ، ولم تعتره الشكوك أو التشتت الذى تجلبه عادة الشكوك فى الانسان بل عندما كانت توحى إليه ايحاءات مضعفة ما كان يقبلها وكان موقفه بازاء الحياة موقفا هادئا واثقا يمكن أن يتلخص فى هذه الكلمات استطيع لأن الله يستطيع ، وهذا كان ايمانه الذى ظهر فى تعليمه الحقيقى واسلوبه الذى وضعه للآخرين .

ولننا نخطئ كل الخطأ اذا جعلنا معجزات يسوع البرهان الوحيد على لاهوته لان يسوع قرر بوضوح مراراً عديدة ان الايمان الدينى يمكن الانسان من

عمل المعجزات كما قال لتلاميذه لأنى الحق اقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولايشك فى قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمهما قال يكون له ، لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم (مر ١١:٢٢-٢٤)

فيسوع فضلا عن كونه الهاً وانساناً معا فانه كانسان كان له هذا الايمان العظيم ، مع انه نشأ فى امة تعول على الاعمال وتقول بالاعمال والمجهودات ولذلك كانت تعاليمه عن الايمان وسط اليهود غريبة حتى أن الناس فى زمانه لمسوا هذا السلطان فى تعاليمه العجيبة: آمن . آمن فقط . لماذا شككت ثق بالله. لاتقلق قلوبكم . كل شئ مستطاع للمؤمن . لاتخف أيها القطيع الصغير . تعالوا إلى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم .

ولنسأل هنا هل كان تعليم المسيح عن الايمان مجرد كلام ؟ وهل يتناسب مع القرن العشرين ويطبق تطبيقاً عمليا ؟

ان علماء النفس بعد ١٩ جيلا قرروا أن الايمان هو كل شئ فى حياتنا والعامل فى كل حركاتنا وأعمالنا فقد قال اميل كربيه من كبار علماء النفس : أن النفس غير الشاعرة فينا (العقل الباطن) تقبل بخضوع تام ماتخبر به وهى المسئولة عن جميع الاعضاء بواسطة المخ فاذا اعتقدت هذه النفس أن أحد الأعضاء يقوم بوظيفته خير قيام أو أنه لايقوم فان العضو يؤدى عمله حسب اعتقادها وهى لاتسيطر على وظائف بنائنا الآلى فقط بل وعلى جميع أعمالنا المختلفة وهى التى نسميها بالمخيلة التى تجعلنا نعمل ضد ارادتنا عندما تكون هناك مضادة بين الارادة والمخيلة وان الارادة دائما تخضع للمخيلة .

وقال ايضا ان المخيلة كسيل جارف تكتسح بشدة كل مايسقط فيها رغم مايبذل من مجهود للوصول إلى الشاطئ وهى السيل الذى لايقهر إذا عرفت

كيف تسيره وتحول قوته إلى حركة وحرارة كهربائية .

فهل هناك خلاف بين علماء النفس وتعليم يسوع العملي ؟ فما الارادة الا عهد الأعمال الفاشل الذى عجز فيه الناس عن حفظ الناموس والعمل به ، وما المخيلة او الفكر الا الإيمان الذى كان يسوع يعلم به . المخيلة هى ذلك السيل الجارف الذى سيره يسوع وحوله إلى المجرى الحقيقى ، حوله إلى حركة وحرارة كهربائية حتى أن كل الذين لمسوا يسوع نالوا الشفاء ، هذا الإيمان الذى جعله لايكافح ولايجاهد ولايقلق ولايضطرب ولاينزعج ولايشك بل يمثل عظمة اليقين التام .

فأى بشرى لم يقلق ولم يشك ولم يجاهد ؟ وأى بشرى قام له الايمان مقام المجهود ؟ فهوذا أيوب مثال الصبر قال فى ضيقته : ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى قيل قد حبل برجل .. لمَ لم أمت من الرحم عندما خرجت من البطن .. لأنى ارتعاباً ارتعبت .. لم اطمئن ولم استرح وقد جاء الرجز (أى ٣).

وداود النبى قال : اشفنى يارب لان عظامى قد رجفت ونفسى قد ارتاعت جداً .. إلى متى أجعل هموماً فى نفسى وحزناً فى قلبى كل يوم (مز ١٣:٦)

ومحمد الذى يعتبره المسلمون سيد المرسلين فانه كما ورد فى الأحاديث كاد أن يلقى نفسه من أعلى الجبال الشاهقة لأنه مكث مدة لايرى جبريل فحزن لذلك حزناً شديداً حتى غدا مراراً كى يتردى من رؤوس الجبال فكلما وافى بذروة كى يلقى بنفسه منها تبدى له جبريل فقال يامحمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جاشه أى قلبه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا وافى ذروة جبل تبدى له مثل ذلك .

فنماذا تعللون تفرد يسوع بعظمة اليقين والهدوء والثبات فى مختلف المواقف واحرجها بدون انزعاج أو قلق .

ثالثاً : الغفران الصفة البارزة فى حياته . فيما ان هناك معجزة أخرى بدت فى حياة المسيح وهى كشرط مهم للوصول الى نتائج الايمان وهذه المعجزة هى الصفح والغفران الذى عمل به وعلم فقال ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شئ لكى يغفر لكم ايضا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم (مر ١١: ٢٥، ٢٦) وقوله احبوا أعداكم واحسنوا الى مبغضيكم . باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم (لو ٦: ٢٧، ٢٨) وعلى الصليب علم الناس عملياً حين صلى من أجل الذين صلبوه قائلاً يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون (لو ٢٣: ٣٤).

ومن هنا تقف على سر من أسرار عظمة يسوع وقوته من جهة علم النفس . فقد قرر علماء النفس : ان الحقد هو احد المنازعات الداخلية التى تمزق نشاط الانسان وتعطل قوة ارادته وليس هناك عامل اقوى على تشتيت الفكر واعاقة التركيز العقلى مثل الشعور المتأجج بالاذى والحقد . فالكراهية والثأر يتشربان كل النشاط العقلى والعصبى ويسدان القنوات التى تسير فيها قوى الروح القدس لانه اذا كان هناك غل فى الصدر ضد اى انسان فتكون هناك دائرة من دوائر النشاط مغلقة ومعطلة .

فيسوع من وجهة نظر علم النفس كان بلا تأجج داخلى أو اشتعال بالحقد والكراهية وهذا سر قوته الناسوتية لأن ليس هناك حقد يمزق نشاطه أو يعطل قوة ارادته أو يشتت تركيزه العقلى ولذلك كان يقضى طول الليل فى الصلاة مع أبيه وهذا هو التركيز العقلى العجيب ان يبقى الانسان طيلة الليل مع الله وهذا سر قوته التى اذا ما لمس الناس أهداب ثوبه سرت فيها منه اليهم قوة الشفاء لأن قنوات نفسه البشرية لم تكن مسدودة بكراهية أو ثأر فكانت كل قواه حرة طليقة غير مقيدة بحقد أو غل أو نزاع داخلى لذلك كانت مستعدة فى كل حين ان

تعمل فى عدم تعطيل أو تشتيت لمجد الله وخلاص العالم .

واذا كان الناس يصفحون ويغفرون عن بعض الاذى الذى يقع عليهم من الآخرين فهذا ليس من السهل لانه لايتم الا بعد نزاع وانتصار بل وبعد اتمامه يبقى شئ من الشعور بالاذى فى النفوس وقد يحدث الغفران بعد مجهود كلى من الناس أصحاب العقول الكبيرة والارادة القوية الذين اشتهروا بضبط النفس وطالما غلبوا من طبيعتهم الحاقدة فانتقموا لأنفسهم بالقول أو بالعمل لافرق بين قديس أو نبى فداود النبى المتسامح نراه فى صلاته يقول : خاصم يارب مخاصمى قاتل مقاتلى .. (مز٣٥) .

وارميا النبى الذى كان يبكى على شعبه ويرثى لحالهم نراه عندما قابلوا محبته بالاساءة وفكروا فى قتله قال دعنى أرى انتقامك منهم (ار ص١١) .

وقد جاء فى القرآن عن كبار الانبياء انهم طلبوا النقمة من اعدائهم كما ورد فى (سورة نوح) إذ قال : ولاتزد الظالمين الا ضلالا .

ومحمد كما روى الفخر الرازى عن سبب نزول سورة تبت يدا ابى لهب ما اغنى عنه ماله وماكسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد قال انه كان اذا وفد على النبى صلعم وفد سألوا عمه عنه وقالوا انت اعلم به فيقول لهم انه ساحر فيرجعون عنه ولايلقونه فاتاه وفد فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقال انا لم نزل نعالجه من الجنون فتباً له وتعساً فاخبر النبى صلعم بذلك فحزن ونزلت السورة قوله تبت يدا ابى لهب .

هذه عينات ذكرناها حتى نقابلها بما كان عليه يسوع من التسامح والغفران الغير المتناهى الذى أظهره فى البستان وصلاته على الصليب من أجل صالبيه .

فهل هذا المتسامح الذى لم تشبه شائبة حقد أو انتقام يمكن أن يكون مجرد بشرى وأليس هو الله غافر الاثم والمعصية الذى له وحده السلطان أن يغفر الخطايا .

رابعا - معجزة البساطة البارزة فى حياته وكانت اوجز نصيحة نفسولوجية واكملها قوله : لايقدر أحد أن يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الاخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر لاتقدرون أن تخدموا الله والمال (مت ٦:٢٤) . وقد ضرب المثل بنفسه عندما قال : للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار واما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه .

وهذا سر من أسرار خلو يسوع من النزاع الداخلى الذى ينشأ عن عدم استطاعة التوفيق بين مصلحتين مختلفتين كمطالب الله ومطالب المال .

اما المسيح فعمل وعلم بالوصية القائلة تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك (مت١٢) .

الأمر الذى لم يستطعه أى انسان فى الوجود غير يسوع الذى كان دائماً فى غير المحدود كما قال لامه ويوسف : الم تعلما انه ينبغى ان اكون فى ما لابى (لو ٢:٥٠) يعنى أنه ينبغى ان يكون دائما فى الاب كما قال : ليس أحد صعد إلى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء (يو ٣:١٣) فمع كونه مقيما على الارض الا انه كان فى نفس الوقت موجوداً فى السماء .

وعلماء النفس يعلقون أهمية كبرى على الوفاق الداخلى ويحضون على ضرورة توحيد الغرض فى الحياة وهذا الغرض لايجد الا فى خدمة ملكوت السموات وديانة يسوع هى التى تدعونا إلى هذه الخدمة التى فيها الاشباع الكامل للنفس من وجهة علم النفس . وهذا سر من أسرار سلام يسوع وراحته

الداخلية وقوته الفائقة .

ان تحرره الكلى من الشك والخوف والحقد مع بساطة الحياة جعله يتكلم بيقين وسلطان تام ، جعل لكل لفظة من الفاظه سلطاناً خاصاً عرفه عنه أتباعه وخصومه أيضا فلقد كان سامياً متفوقاً إلى ماوراء المعجزات والتعليم وظهرت قوة شخصيته فى الجاذبية العجيبة التى جذب بها الناس اليه أكثر من فعل السيوف التى أخضع بها الغير رقاب الناس .

ولقد كانت له حيوية ونشاط استطاع بهما ان يقدم لكل فرد قوة من المحبة ودرجة من الاهتمام لايستطيع مجرد انسان أن يمنحها فمحبته كانت المغنطيس فى قوتها ومازالت تجذب الألوف والملايين حتى يتم القول : الأرض بكمالها للرب ومسيحه .

وضبطه لكل موقف فى الحياة فى الأفراح والأحزان ، أمام الاعداء كما فى وسط المحبين على التجربة مع ابليس كما فى البستان عند القبض عليه أو على الجلجثة حين قاسى شديد العذاب ، وحرية السلوك بدون خطأ فيما تتطلبه الظروف والاستعداد للعمل الصحيح . فى كل موقف طارىء مع توفيق ذاته بسرعة وسهولة مع الظروف ومع الناس كماكانت له سرعة خاطر مع حكمة تامة ورقة متناهية فى فهم لايشوبه أي انحراف .

كل هذا التفوق لايرجع إلى دراسة ولا هو بالصناعى . ومع أن علماء النفس قد وصلوا إلى حقائق نفسولوجية واستطاعوا أن يحللوا نفسية يسوع ويطابقوا تصرفاته على نظريات علم النفس فانه لم يستطع انسان منهم فى الماضى أو الحاضر أن يحرز هذه القوى التى كانت ليسوع أو شبهها فعلام يدل هذا فى يسوع ؟ أليس هو الله ضابط الكل الله المحبة قد ظهر فى الجسد ؟!

شهادة نابليون للمسيح

جاء فى كتاب تاريخ فرنسا الحديث عن نابليون عندما كان فى المنفى وكان يكثر الكلام عن لاهوت المسيح فقال له الجنرال برتران :مولاى اننى لا أدرك كيف ان رجلا عظيما مثلك يؤمن بأن الخالق الأعظم أظهر نفسه للبشر فى جسد انسان وله جسم وفم وعينان ؟ فليكن المسيح مهما شئت ولكنه لم يكن غير بشر كالكثيرين مثل الاسكندر وقيصر ومثلك انت .

فأجاب نابليون فى الحال على هذا الكلام قائلا اننى أعرف الرجال فأقول لك ان يسوع المسيح ليس برجل ، فأصحاب العقول الغير قادرة على ادراك كنه الحقيقة يرون مشابهة بينه وبين مؤسسى الممالك ومعبودات القدماء ، والواقع أنه لايوجد لتلك المشابهة ، والبون بين النصرانية وبقية الأديان غير محدود ، فاننا نقدر ان نقول لجميع واضعيها انكم لستم بمعبودات ولا وكلاء الاله بل انتم رسل الأكاذيب وانتم كسائر البشر ، وقد خلقتم مصحوبين بالشهوات والرذائل التى تصاحب سائر البشر وهياكلكم وكهنتكم تدل على أصلكم ، وهذا مايقوله كل انسان فحص بخلو غرض حالة معبودات الوثنيين وهياكلهم ، وهكذا حكماء اليونان لم يقبلوا البتة الدين الوثنى كدين حقيقى ومنهم سقراط وفيثاغوروس وافلاطون وانكساغرس وبركلس ، على ان احكم الناس بعد انتشار النصرانية آمنوا بصحة تعاليمها ، فان بوسوى وفنلون آمنا بها ، ولم يقتصر الايمان بها عليهما حال كونهما واعظين ولكنه اتصل الى ديكارت ونيوتن ونبتز وبسكال وكورين وراسين وشرلمان ولويس الرابع عشر ، وأما الوثنية فصفة الانسان ولانسمع عنها ونقرأ عنها الا مايدل على غباوتنا وجهلنا ، فماذا تعرف تلك المعبودات المفتخرة أكثر من الانسان وماذا يعرف واضعو تلك السنن الرومانية واليونانية ونوما ولوكرغس وكهنة الهند وممفن وكونيفوشيوس وغيرهم انهم

لايعرفون شيئاً . بل أضاعوا الآداب ، ولم يبين أحدهم من جهتنا شيئاً من جهة حالتنا فى الاستقبال والنفس وجوهر الخالق والخليقة . واذا دخلت هياكل الوثنية لاترى غير الوف من المتناقضات وحروب اشعلت نارها بين المعبودات وتفريق الوحدة الالهية وسفسطة الجهل والاجحاف بالصفات الالهية وانكارها والرجس والفساد فى المستظلات الكثيفة مع الاخشاب المنحوتة وهى الصنم وكاهنه ، فهل يتمجد الله بذلك أو يغضب وهل تقيم المقابلة بين هذه الأديان والمعبودات والنصرانية ، أما أنا فلا اقابلها بل اجلب كل المعبودات الوثنية إلى محكمة وأحاكمها ، غير اننى ابعد من ان أذل نفسى بعبادة أصنامها فليس عندها ولاعند واضعى ناموس الهند والصين ورومية واثينا مايلقى الخشية فى قلبى ، أو يدل على أن أعمالهم تجرى من ينبوع الهى وبينى وبينهم مشابهة عظيمة وقد ارتكبوا أغلاطاً تجعلهم مثلى من العائلة البشرية ، أما المسيح فلم يكن كذلك وكل شئ فيه يقضى بالعجب العجاب ، فروحه تلقى الخوف فى قلبى وثبات ارادته تضيع تمييزى ، ولايقابل باحد من البشر ولاتوضحه النظامات البشرية ولاطبيعة الانسان وارائه وحاسياته والحقائق التي أعلنها ولاكيفية اقناعه ، فاذاتاملت فى ولادته وتاريخ حياته وعمق حكمته التى تتغلب على أعظم الصعوبات وتحلها أوفق حل ، وانجيله وظهوره وبمملكته الروحية وتغلب تعاليمه على الدهور والأمم أقول أن هذه أسرار لا أقدر أن أقف على حقيقتها فانها تجعلنى فى حيرة لا أستطيع التخلص منها فهى سر لا أقدر أن أنكره ولا أن أوضحه ولا أرى بذلك شيئاً بشرياً . وكلما اقتربت منه وأطلت البحث عنه يزداد ارتفاع هذه الأمور عنى وتبقى عظيمة وعظمتها عالية ودينه التام حذق لاريب فانه غير بشرى . فترى فيه شيئا اساسيا عميقاً جاء بتعاليم وكلام لم تكن معلومة ، ولم يستعر يسوع شيئا من معارفنا وعلومنا ولاترى مايشابه تصرفه وحياته ، ولم يكن فيلسوفاً لأنه تقدم

بالمعجزات وتلاميذه عبدوه منذ البداية والقى الايمان به فى قلوبهم بما يؤثر فيها، وليس بالتظاهر بما يؤيده أو يقنعهم ، ولم يلزمهم أن يقوموا لدروس ابتدائية ولا أن يتعلموا العلوم ، فديانته كلهامبنية على الايمان ، والواقع ان العلوم الفلسفية لاتجدى نفعاً للخلاص وجاء إلى الأرض لاظهار أسرار الروح ونواميسها ، ولم يكن لتعاليمه علاقة بالروح ، وقد جاءها بانجيله ولم تكن للروح أهمية قبله فان السيادة فى الدنيا كانت للعادة والزمان ، وقد رجع كل شئ إلى النظام بصوته وصار المحل الثانى للعلم والفلسفة ، وقد فازت الروح بالحصول على سيادتها ، وسقط كل العلم كبناء تهدم أمام كلمة واحدة وهى الايمان ، فما أعظم السيد الذى يقدر أن يأتى بانقلاب عظيم كهذا وما أنفذ كلمته ، فما هو ياترى السلطان الذى الزمنى به أن أصلى وقد الزم الناس الايمان به، ولم يتمكن انسان من أن ينقض كلامه أول، لأن فى الانجيل أصفى الآداب ولأن التعاليم الموضوعة فيه كاسرار انما هى اعلان الحق المتعلق بما هو موجود حيث لاتقدر العين أن ترى ولا العقل أن يدرك، فمن ياترى هو الخالى من الاحساس الذى يكذب أخبار السائح الجسور الذى لم يتجاسر غيره الصعود الى القمم الثلجية ويخبر بعجائبها، فالمسيح هو السائح الجسور ، والانسان يقدر أن يبقى خالياً من الايمان غير أنه مامن أحد يتجرأ أن يقول لهذا ليس هو كذلك ، وفضلا عما تقدم شاور الفلاسفة عن هذه التعاليم السرية المتعلقة بالانسان والدين فماذا يقولون، وأين هو العاقل الذى تعلم شيئاً من الطبيعة القديمة أو الحديثة حال كونها ليست إلا آراء باطلة لاعلاقة لها بمعيشتنا وأميالنا ، ولاريب فى أن الانسان يرى بقوة الفكر مفتاح فلسفة سقراط وافلاطون، على أنه لايدرك ذلك مالم يكن طبيعيا وبعد طول الدرس سنين كثيرة ، على أن ادراك المسيحية يتم بالقلب والايمان ، لأنها ليست بأوهام ولاهى تعليم طبيعى ولكنها قوانين تنتظم بها أمور

الانسان وتعاونه على جميع تصرفاته ، وقد فتشت التواريخ دون أن أجد فيها شبيهاً ليسوع المسيح والانجيل ، فلا أرى فى التاريخ ولا الانسانية ولا العصور ولا الطبيعة شيئاً أقدر أن أقابله أو أن أفسره به فان كل شئ فيه يفوق الحوادث والعقل البشرى والذين خلت قلوبهم من التقوى لم يتجاسروا أن ينكروا على الانجيل الذى يوجد فيهم اعتباراً اجبارياً وما أعظم السعادة التى يحصل عليها الذين يعتقدون بصحته وما أكبر العجائب المسطورة فيه فهو كتاب مفرد يجد العقل فيه جمالاً أدبياً لم يكن معروفاً ، ومعرفته بالخالق تدل الخليقة عليها فمن ياترى غير الله تعالى يقدر أن ياتى بمثل ذلك بكمال أصلى خالص ، ولم يكن للمسيح غير تلاميذ قليلين فحكم عليه بالقتل فمات بغضب الكهنة واحتقار الأمة ، حتى ان تلاميذه تركوه وانكروه ، وقال انهم يأخذوننى قريباً ويصلبوننى وأترك العالم ، وأهم تلاميذى ينكرنى فى بداية قصاصى فاترك للاشرار وبعد ذلك يحصل العدل الالهى على كفايته وتمحى الآثام الأصلية بالامى ويرجع اتصال الانسان بالله ويكون موتى حياة تلاميذى ويصبحون دونى أقوى مما هم وأنا معهم لأنهم يشاهدوننى مرتفعاً ثانية ، وساصعد إلى السماء وأرسل اليهم من السماء روحاً يعلمهم ، وروح الصليب يساعدهم على فهم انجيلى فيعتقدون به ويعظون به ويجلبون العالم إلى الايمان فهذا الوعد الغريب الذى سماه بولس حماقة الصليب هو نبوة رجل صلب بتعاسة تم حرفياً وكيفية اتمامه ربما كان أوسع دائرة من الوعد نفسه، ولم يفصل ذلك فى يوم ولا بمعركة ، فهل هذه حياة رجل؟ الجواب لأنها حرب استمرت ٣٠٠ سنة بدأ الرسل بها وقام بها بعدهم خلفاؤهم واجيال نصرانية متتابعة وفى هذه الحرب اصطف جميع الملوك وكل قوات الأرض فى جهة ، ولا أرى جيشاً فى الجهة المقابلة ولكنى بالعكس أرى جهاداً سرياً وأفراداً متفرقين فى جميع أقطار الدنيا وليس لهم عصبية غير وحدة الايمان بأسرار الصليب ، فما أعظم سر جعل الانسان الالهى آلة لوقوع

القصاص عليها . وتسلح تلاميذه بها وقالوا قد مات إلهنا لخلاص العالم . فهذه كلمات بسيطة غير أنها هاجت عواصف الاجتهادات حول راية آلام الرجل الالهي . ونرى من جهة غضباً شديداً وجميع مهيجات البغض والتعدي والانتقام وفي الجهة الأخرى اللطف والشجاعة الادبية والتسليم غير المحدود واستمرت الروح تنازل وحشية الاحساس ٣٠٠ سنة والضمير يحارب الظلم والروح الجسد والفضيلة الفساد . وجرى دم المسيحيين انهاراً ، وكانوا يموتون وهم يقبلون اليد التي كانت تقتلهم مكتفين بالحجة التي كانت الروح تقيمها حال كون الجسد كان يسلم نفسه إلى جميع العذابات ، وكانوا يقتلون في كل مكان ومع ذلك فكان الفوز لهم في كل مكان . وقد ذكرت قيصر والاسكندر وفتوحاتهما والحمية التي كانا يضرمانها في قلوب عساكرهما ولكن هل تصدق أن رجلاً ميتاً يقدر أن يقوم بفتوحات بواسطة جيش صادق وقف نفسه على سبيل خدمة ذكره ، وهاجيوشي قد نسيتني مع أنني لا أزال على قيد الحياة ، فهذه هي قوتنا والانقلاب في معركة واحدة كاف لسحقنا والضيقات تبدد شمل اصدقائنا ، فهل تصدق أن قيصر امبراطور مجلس أعيان روما الذي لايموت ذكره يقدر وهو في أعماق قبره أن يسوس امبراطوريته ويحرس رومية ، فهذا هو تاريخ تغلب المسيحية على الأرض وفتوحاتها فيها ، وهذه هي قوة اله المسيحيين ، وهذه هي المعجزة الدائمة التي جاءت بتقديم الايمان وادارة الكنيسة فالأمم تنقرض والعروش تسقط على ان الكنيسة باقية ، فما هي القوة التي صانت هذه الكنيسة التي لاقت صدمات الغضب الشديدة ، وعنوان قرون عديدة ، فأين الجيش الذي حمى الكنيسة ١٨٠٠ سنة من عواصف التعديات والاضطهادات المرة التي تهددتها بالتدمير وكم من نقصان ترى في حياة الجميع خلا حياة المسيح ، فأي رجل لم تخضعه المواقع واي رجل لم تكن الحوادث والامكنه ضابطاً لاعماله .

اما هو فلم يخضع لسطوة الازمنة ولاجارى عادة وميلا ، فانه لم يتغير من اليوم الأول من حياته إلى آخر ايامه بل كان على الدوام جليلاً بسيطاً ثابتاً لطيفاً جداً . وينبغى ان تمتلئ الدنيا بالحق ، فالنصرانية هى الدين الفريد الذى يهدم اركان التعصبات الدينية ، ويعلن ان الجنس البشرى واحد وبعضه اخوة البعض ، وقد تفرد بمراعاة الروحيات فقط وبتعيين الاحضان الالهية فى السماء ميعاداً للجميع دون امتياز ، وقد برهن المسيح انه الابن الأزلى بعدم اهتمامه بالوقت ، فان تعاليمه كلها تتعلق بأمر واحد وهو الأبدية ، ومن المحقق ان المسيح جعل فى ايماننا اسراراً كثيرة فانه يأمر كذى سلطان ، يأمرنا بان نؤمن بها دون ان يبين شيئاً غير واحد وهو كلام مخيف وصريح قائلاً : «انا هو الله» وقد صرح بذلك وجعل بينه وبين واضعى الاديان بوناً عظيماً ، فاذا كان غير صحيح فيكون قحة عظيمة وكفراً شنيعاً ، واقول ان فوز ادعاء كهذا اذا كان غير صحيح يكون عذراً للذين ينكرون الله . وفضلا عن ذلك فقد رأينا أن تعاليم المسيح المحفوفة بالأسرار مشابهة للطبيعة لأنها ذات أسرار عظيمة فان الانسان يقول فى نفسه من أين أتيت ياترى وإلى أين أذهب ومن أنا فالحياة البشرية أصلها سر فى نظامها ونهايتها ففى الطبيعة كل شئ متعلق بالانسان وبغيره سر لايدرك فهل يمكن أن يكون الدين غير سرى ، فالخليقة والدنيا سر لاقرار له وكذلك الخليقة ونصيب كل فرد ، فالمسيحية لاتصرف النظر عن هذه المسائل المهمة جداً ولكنها تلاقيها بشجاعة وتعاليمها تحلها عند كل مؤمن ، وفى الانجيل فضيلة سرية واقتدار سرى وتاثيرها يدخل القلب ويعزيه . والانسان يشعر بالتامل به بما يشعر به عند التامل فى السموات ، فالانجيل ليس ككتاب بل هو كائن حى ذى اجراء وقوى تمكنه من التكلم على كل مايحول دون امتداد فانظر على هذه المائدة وتراه يفوق كل الكتب (ووضع الامبراطور يده عليه بكل اعتبار) وكل يوم

اقرأه وكلما قرأته التذ به ولا أرى فى غيره آراء حسنة كالتى فيه ولاتعاليم أدبية خارقة العادة تنتشر كجيش سماوى منتشر وتؤثر فينا كتأثير السماء عند التعزى فى ليلة صيف ذات نجوم صافية فتشغل أفكارنا وتضبط أعمالنا ، والنفس لاتضل مادام هذا الكتاب دليلها ، وإذا تسلط الانجيل الأمين على أنفسنا يصير المسيح محباً لنا ويصبح صديقنا ووالدنا وبالحقيقة الهنا فالأم تعتنى أكثر منه برضيعها ، وما أعظم الدليل الذى نستدل به على ألوهية المسيح فانه أسس سلطة دينية عظيمة مطلقة ومع ذلك لم تكن له إلا غاية واحدة وهى تحسين حالة الأفراد الروحية وطهارة الضمير وقداسة النفس ، وقد تكلم فصارت الأمم فى كل الأجيال له بروابط امتن من روابط أدم وهى أقدس الرباطات وأبعدها عن الانحلال فانه يضرم لهب حب يحرق به حب الذات ليقيم مقامه المحبة الطاهرة لجميع الناس سواء أصدقاء أو أعداء ولاريب أن معظم معجزات المسيح هى غلبته على حب الذات وجعله السيادة للمحبة الطاهرة العامة . أما أنا فقد ألقيت فى قلوب الجماهير حمية جعلتهم يرتضون أن يبذلوا حياتهم فى سبيل خدمتى ، وحاشالى ان أقابل حمية الجندى بالمحبة المسيحية فانهما متباينتان بالذات والعلة فى أن وجودى كان لازماً لالقاء الحمية فى قلوب العساكر بمشاهدتهم نور عينى واستماعهم صوتى وكلمة مهيجة من فمى ، هذه هى الوسائل التى كانت تضرم نيران الغيرة فى قلوبهم ولاريب أنى حاصل فعلا على تلك القوة السرية التى تشبه قوة السحر وهى التى ترفع النفس غير أنى لم أكن قادراً أن أجعلها متصلة بالآخرين ولم يقتبسها عنى أحد قوادى ، ولاقدرة لى على تخليد اسمى وحبى فى القلوب دون الوسائل الطبيعية فقد صرت الآن فى المنفى منفرداً مقيداً وليس من يحارب عنى أو يفتح البلاد باسمى وليس لى من يخدمنى فى ضيقى أو يذكرنى ويحترمنى فى بلادى وقد تركنى كل أصدقائى الا

ثلاثة قد خلدت الامانة والصداقة أسماءهم وأنتم قد شاركتمونى فى النفى والضيق وفيكم تعزيتى ، وحياتنا لمعت مرة بعظمة التاج والعرش ثم انطفأ هذا النور اللامع كما تكسر أشعة الشمس على قصر الانفاليد المعلقة بالقرب منا ، على أن المصائب قد دهمتنا وأخذ لمعاننا يزول وسوء الحظ الذى وقعت فيه مع الاهانات التى تلحق بى كل يوم جعلت ذلك اللمعان ظلاماً حالكاً فصرنا رصاصاً بعد ان كنا ذهباً وحجارة كريمة ، وبعد برهة أبيت فى القبر ، هذا هو نصيب الرجال العظماء وهكذا كان نصيب الاسكندر وقيصر وكذلك أنا ، وقد بتنا جميعاً فى زوايا النسيان ، ويصبح اسم الفاتح والامبراطور من المواضيع التى تشتغل الطلبة فيها بالمدارس وتكون أعمالنا مواضيع يجعلها الأساتذة وسيلة لتعليم تلامذتهم فيشغلون أنفسهم بمدحنا أو بالتنديد بنا ، تأمل بما يطرأ على ، اننى أموت قبل أوانى الطبيعى فهذا هونصيب الرجل المعروف بنابليون العظيم ، فما أعظم الفرق بين شقائى العظيم وملك المسيح الأبدى الذى لايزال اسمه معلناً ومحبوباً ومعظماً وهو ملك لايزال منتشراً فى أربع جهات العالم ، أهذا هو الموت ، أليس هو الحياة ، فموت المسيح هو بلاريب موت معبود ، فاذا كنت بعد هذا لاتدرك ان المسيح اله أكون قد أخطأت حين جعلتك قائداً من قواد جيشى .

قال هرمن : اذا اعترفنا بألوهية المسيح فلانعطيه الا اسمه الحقيقى فقط .

قال شارلس لمب : لو جاء شكسبير الى هذه الغرفة لوقفنا كلنا اجلالاً له وأما لو جاء المسيح لجثونا كلنا تحت قدميه نقبل هدب ثوبه .

قال ستروس (وهو منكر الوحى) : كما يصغر شأن الانسانية بلادين ، كذلك يقل قدر الدين بدون المسيح فهو الباقى إلى الأبد عنوان الدين الأسمى ونموذج الكمال المطلق ، ولاسبيل للحصول على التقوى الحقيقية بدون حضوره فى القلب .